21

يوميات ضابط في الأرياف

روايات الهلال

حمدي البطران

Dr. Ahmed Mady

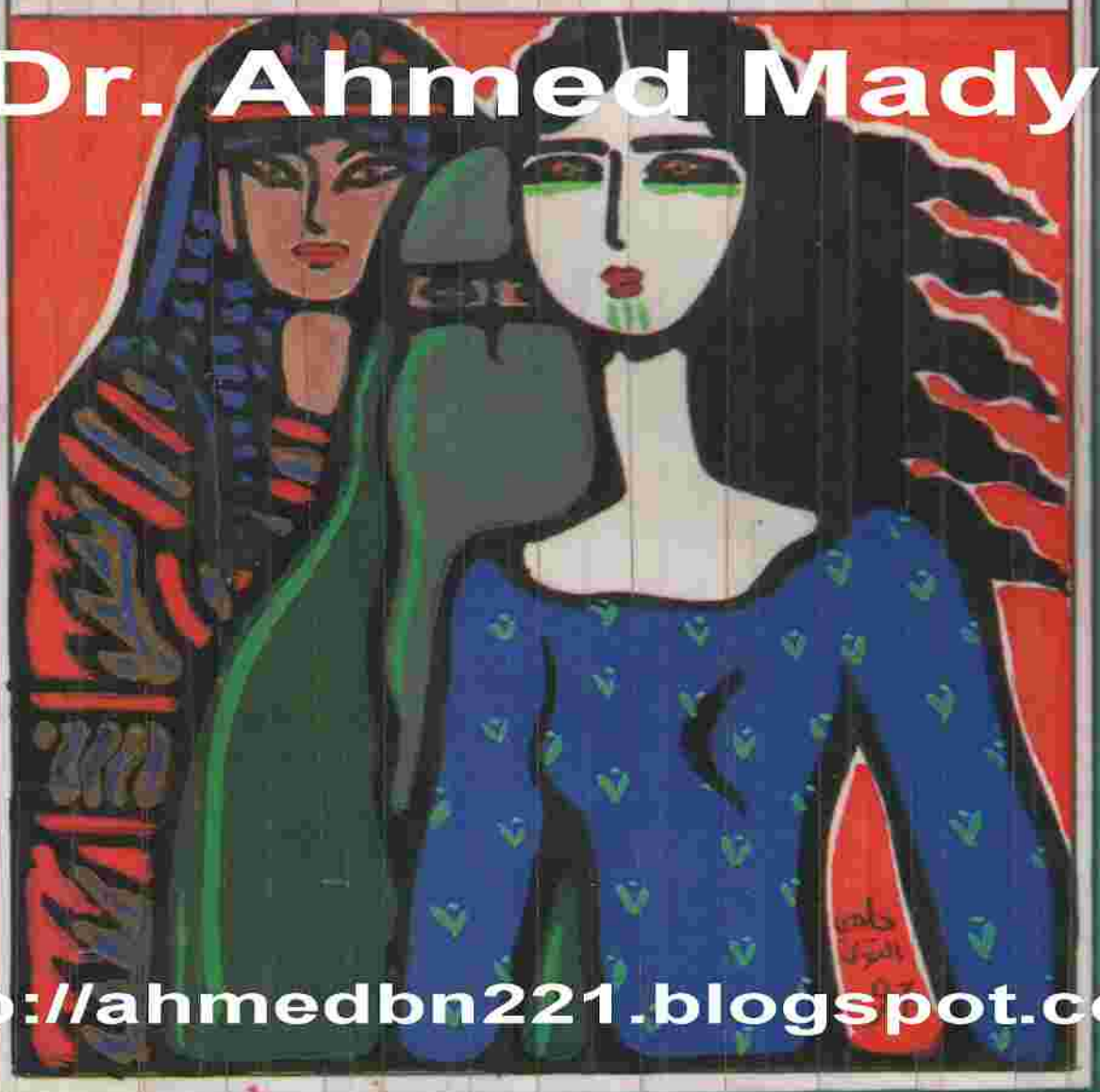

http://ahmedbn221.blogspot.com/

مكتبتي

العدد ٥٩٠

فبراير ١٩٩٨ ● شوال ١٤١٨ هـ

No-590- FEB-1998

روايات الهلال

Rewayat Al Hilal

سلسلة شهرية لنشر القصص العالمى

تصدر عن

مؤسسة دار الهلال

الإصدار الأول:

يناير ١٩٤٩

رئيس مجلس الإدارة

مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير

مصطفى نبيل

سكرتير التحرير

محمود قاسم

ثمن النسخة

سوريا ١٧٠ ليرة - لبنان ٥٠٠٠ ليرة - الأردن ٢٠٠٠ فلس - الكويت ١٥٠٠ فلس - السعودية ١٥ ريالا - البحرين ١.٥ دينار - قطر ١٥ ريالا - دبى / ابو ظبى ١٥ درهما - سلطنة عمان ١.٥ ريال

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) ٥٥ جنيها داخل ج . م . ع تسدد مقدما نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية - البلاد العربية ٣٥ دولارا - امريكا واروبا واسيا وافريقيا ٥٠ دولارا - باقى دول العالم ٦٠ دولار .

القيمة تسدد مقدما بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال - ويرجى عدم ارسال عملات نقدية بالبريد .

للاشتراك فى الكويت : السيد عبدالعال بسيونى زغلول

الصفا ص . ب ٢١٨٣٣ (13079) ت : ٤٧٤١١٦٤

الادارة : القاهرة - ١٦ شارع محمد عز العرب بك (المبتديان سابقا) ت : ٣٦٢٥٤٥٠ (٧ خطوط) المكاتبات : ص . ب : ٦١ العتبة - القاهرة - الرقم البريدى ١١٥١١ - تلغرافيا : المصور - القاهرة ج . م . ع .

تلكس : TELEX 92703 hilal u n

فاكس : FAX 3625469

غدا محاكمة ضابط شرطة أمام مجلس تأديب اتهم بإفشاء أسرار رسمية فى رواية أدبية

كتب ـ محمد شعير:

يمثل غدا «الأحد» العميد حمدى البطران الضابط بمديرية أمن المنيا امام مجلس التأديب الذي يعقد لمحاكمته وسماع النطق بالحكم فى القضية المتهم فيها بإفشاء أسرار مهمة من خلال روايته (يوميات ضابط فى الأرياف) الصادرة فى شهر فبراير الماضي.

وقد رفض ضابط الشرطة الأديب التعليق على إجراءات محاكمته او الإدلاء بأية تصريحات صحفية حول القضية، فى الوقت الذى ثارت فيه الأوساط الأدبية ضد محاكمته باعتبار ان الرواية عمل ابداعى لا علاقة له بالمعلومات الرسمية، ولا تعبر سوى عن افكار وآراء صاحبها، ومازالت الرواية.. موضوع التحقيق متداولة دون صدور أية قرارات بمصادرتها أو منع طبعها.

وتتناول الرواية يوميات مأمور لأحد المراكز بالصعيد حول سلبيات جهاز الشرطة وأسلوب تعامل الضباط مع الأهالى هناك، وتأثير علاقة الشرطة بالمواطنين على ظاهرة الإرهاب، وتعامل الأمن مع أهالى الإرهابيين، مما أوجد علاقة أشبه بالثأر بين الطرفين، وصدر للضابط المتهم روايتان هما «إغتيال مدينة» و«ضوضاء الذاكرة» ، ومجموعة قصصية تحمل اسم (المصفقون).

أحمد عبد الفتاح ناصف
176
DR. AHMED MADY
Sun. 19-7-98

يوميات ضابط في الأرياف

بقلم

حمدى البطران

دار الهلال

تم التحميل من مكتبتي

١٥ أغسطس

اليوم فقط تسلمت المسكن ..

كان يسكن فيه المأمور السابق . وبالطبع سأتركه للمأمور الذى يأتى بعدى .. شقة واسعة . خالية من الأثاث إلا من سرير قذر كأسرة المستشفيات الحكومية المصنوعة من الحديد – عرفت فيما بعد أنه مأخوذ من المستشفى الأميرى المركزى وأنه عهدة طرف المأمور ، وأن أمين عهدة المركز – البلوكامين – هو الذى وقع بامضائه على استمارة الاستلام . ومع السرير مرتبة محشوة بالقطن . وكنت قبل ذلك أعتقد أنها محشوة بالتبن أو الليف .

فقد كنت أسمع أصوات احتكاك حشوها .. وعرفت أيضا السر فى تلك البقع السوداء على قماشها السميك . فهى بقع دم القتلى والمصابين الذين رقدوا فوقها قبل انتقالها من المستشفى إلى شقة المأمور ..

وكرهت النوم وتقززت .!

أمرت برفعها فوراً وإعادتها إلى مكانها فى غرفة نوبتجى المشرحة .. ! زميلى المأمور السابق أخبرنى أنه أحضر معه الأثاث الضرورى من المنصورة وأنه شحنه من الشقة قبل صدور قرار النقل بأسبوع ..

وكانت زوجتى قد رفضت فكرة شحن أى قطعة من أثاث شقتها إلى الصعيد ، وطالبتنى بشراء أثاث بسيط رخيص الثمن . وكنت قد فكرت فى الاستعانة بنادى الشرطة فى المديرية . وفعلا وجدت استجابة وسيتم تأثيث الشقة بأثاث مناسب . غير أن فكرة النوم على سرير كان فى المشرحة مازالت ترعبنى وتهيمن علىّ كلما حل الظلام .!

فى الليل يعم الهدوء .. ولا أسمع غير نباح الكلاب .. من آن لآخر تنطلق رخات البنادق الآلية من الجانب الشرقى للنيل ، وبعدها أنتظر أن يرن التليفون الادارى المتصل بالمركز لاخطارى بوقوع جناية قتل وضرورة الانتقال . ولكنه لم يرن .. ! رصاص ينطلق فى الهواء .. عرفت فيما بعد أن الهاربين فى الجبل الشرقى يطلقون البنادق من أجل الاسترشاد وتحديد المواقع ليستدلوا على بعضهم البعض . كل واحد منهم يعرف صوت بندقية الفريق الذى ينتمى إليه فى وسط الليل . وبعدها يسيطر السكون على كل شىء .

فى وهدة الليل ينطلق صراخ حاد . كصراخ أرنب ينزع عنه جلده وهو حى ..! يتكرر هذا الصراخ عدة مرات . وكنت أستيقظ من نومى مذعورا .. أخبرنى فيما بعد أحد الضباط من أبناء الصعيد أننى ما لم أسمع صراخ النسوة بعد طلقات الرصاص فالأمور عادية ..

هنا يطلق الرصاص ابتهاجاً . ويطلق لتحية القادمين إذا ما كانوا من أرباب السوابق أو ذوى السطوة .

وعرفت أن الصراخ الذى أسمعه فى الليل صراخ كلب عضه ذئب فى ذيله ..

★★★

السهر فى المركز يمتد حتى الفجر ..

فى بعض الأحيان يأتى ضابط من المديرية برتبة عقيد أو عميد لمفاجأة أعمال المركز والتفتيش عليه أثناء الليل ...

غالبا ما يجلس معنا هذا المفتش أو غيره . نحكى عن الحركة وتنقلات الضباط والمفاجآت التى لم تكن متوقعة كنقل ضابط فجأة دون سبب واضح ..

أخبرنى الضابط المفتش أن مدير الأمن المنقول إلى المديرية فى نفس حركة التنقلات التى نقلت فيها كان مديرا لإحدى المصالح المهمة ونقلوه . وأن هذا النقل للمدير نوع من عدم الرضا عليه .. وعرفت أنه دائما ما يظهر تمرده على هذا النقل أمام كبار مساعديه ، وأن تمرده ظهر فى أول مرة على الاستراحة التى كان يقيم فيها المدير السابق .. وهى عبارة عن فيللا أو قصر تحيط به حديقة من أشجار المانجو والبرتقال . كانت فيما مضى استراحة - الحكمدار - الإنجليزى للمديرية أيام الاحتلال .. وكانت مشيدة على النظام القوطى الذى يسمح للهواء بالمرور فى كل أرجاء الغرف دون حاجة إلى مروحة أو جهاز تكييف .

★★★

أخبرنى الضابط الذى يأتى من المديرية وهو برتبة العميد أن حوادث الإرهاب فى عاصمة المديرية قد بدأت فى الانحسار . وفعلا مضى أسبوع منذ أن حضرت دون أن يحدث اغتيال لضابط أو مخبر أو خفير .

وكانت زوجتى عندما قرأت اسمى فى حركة التنقلات منشورا فى الصحف اليومية اصابها نوع من الانهيار . وتعاونت معها زميلاتها وأعادنها إلى البيت ..!

وعندما أفاقت طلبت منى الاستقالة ولا أذهب إلى الصعيد .. والتمست لها العذر . فقد كانت حوادث الاغتيالات التى تنشرها الصحف يومية . وقد سبق أن نشرت الصحف عن وقائع قتل فيها ضباط كبار برتبة اللواء . وأذاع التليفزيون وقائع الجنازة وكان مشهدها مؤثرا .. هذا فضلا عن حوادث قتل المخبرين وأمناء الشرطة والخفراء واغتيال عدد كبير من المسيحيين .

وكانت الصحف قد أشارت إلى أن هذا المركز - الذى أنا مأمور له - يعتبر بؤرة الإرهاب .. وكان التليفزيون قد أذاع تفاصيل جنازة ضابط . وكان والده يبكى ولم تتحمل زوجتى رؤية زوجة الشهيد وهى تبكيه وفى يدها طفلتان تبكيان

ونشرت الصحف عن كمية الرصاص التى قذف بها لواء شرطة فى سيارته ، والعبوة الناسفة التى ألقوها على السيارة . وقالت الصحف أن العبوة التى ألقيت تكفى لنسف كوبرى على النيل .

وقبل ذلك اعتدوا على عميد وأطلقوا عليه أكثر من تسعين طلقة ألقيت من أربع بنادق آلية ومات الرجل على الفور ومعه أربعة من جنود الحراسة . وهرب الجناة وسط ذهول الناس التى وقفت ترقب الحادث فى فضول .. ولا شك أنها لحظة ستعيش فى ذاكرتهم أبد الدهر ..

★★★

جلست فى مكتبى الواسع ..

عند بابه جنديان بأسلحتهما الآلية ومعهما مساعد شرطة - صول - يحمل سلاحا آليا أيضا ..

بجوارى ترتكز على الحائط بندقية آلية من نوع «كلاشينكوف» لها مقدرة عالية على اطلاق النيران بغزارة . ويمكن لها إطلاق سبع طلقات دفعة واحدة . وثلاث دفعات واحدة وبالإمكان ضبطها لتطلق رصاصة واحدة عند الطلب ..

وهذه البندقية سلمت لى منذ اللحظة الأولى التى دخلت فيها المركز .. اتصل بى عامل التليفون وأخبرنى أن رئيس مجلس المدينة يريد أن يسلم علىّ ويهنئنى بالمنصب الجديد وسلامة الوصول وأنه سيحضر بعد ربع ساعة . وكان رئيس النيابة قد اتصل بى وهنأنى - وأخبرنى برغبته الصادقة أن يشهد عهدى فى المركز تعاونا صادقا ووثيقا بين النيابة والشرطة .

وكان المأمور السابق قد دخل مع وكيل النيابة فى مشادة سببها أن رئيس وحدة المباحث وهو برتبة المقدم قد أطلق أعيرة نارية على سيارة - ميكروباص - كانت تمر أمام المحكمة لحظة خروج رئيس وحدة المباحث منها وحوله عدد من

المخبرين . وكان أحد ركاب السيارة قد أطلق طلقة تجاه رئيس المباحث مما دعاه إلى إصدار أوامره بمطاردة السيارة وإطلاق الرصاص على عجلاتها .. ولما توقفت السيارة هرب ركابها .. ! وتحرر عن تلك الواقعة محضر أرسلوه للنيابة . وكان أعضاء النيابة قد سمعوا صوت الأعيرة النارية وتوقعوا أن هجوما قد وقع على حراس المحكمة ، ولكنهم علموا أن رئيس وحدة المباحث هو الذى أطلق الرصاص من بندقية آلية كان يحملها . وتوقع رئيس النيابة أن يتصل به رئيس وحدة المباحث على الأقل لشرح تفاصيل الواقعة أو إحاطتهم علما بها وخصوصا أنها وقعت فى فناء المحكمة قبل خروج رئيس وحدة المباحث ومن معه ، ولكنه لم يتصل به ولم يخبرهم عن أى شىء كما لم يتصل بهم المأمور لاطلاعهم على – ظروف الواقعة قبل إرسال المحضر للوقوف على التفاصيل . ولكن شيئا من هذا لم يحدث ، وابتلع رئيس النيابة إهانته وصمم على ردها ..! .

وعندما وصل إليه المحضر واطلع عليه أصدر قرارا بضبط وإحضار رئيس وحدة المباحث وضبط البندقية التى كانت بحوزته وتحريزها لعرضها على الأدلة لمضاهاة الطلقات المعثور عليها فى فناء المحكمة .

وكان سائق السيارة قد تقدم للنيابة العامة مباشرة ببلاغ اتهم فيه رئيس حدة المباحث بمحاولة قتله والركاب الذين يستقلون السيارة معه ، وإن كان أحد منهم لم يتقدم ببلاغ إلى أى جهة . وأمر وكيل النيابة بضم محضر السائق لمحضر الشرطة الذى تحرر عن الواقعة .

وجاء فى ذيل قرار النيابة الاستعلام عن سبب وجود ضابط المباحث فى المحكمة ، وعما إذا كان أطلق الأعيرة النارية على السيارة – الميكروباص – حال كونه بداورية أم أنه كان خاليا من الخدمة ، ولذلك أمر بإرسال دفتر الأحوال ، والحق أنه لم يكن فى الأمر ما يدعو إلى الارتباك وسوء الفهم . وهو الأمر الذى

اعتبره المأمور السابق نوعا من تدخل النيابة فى صميم عمل الشرطة الإدارى لا يقع فى اختصاصها .

وكانت تحريات المباحث فى تلك الواقعة أن شقيق سائق السيارة - الميكروباص - يعمل كاتبا فى النيابة . وأن شقيق السائق الذى كانت صلته بأعضاء النيابة قائمة بحكم عمله قد اصطحب شقيقه إلى النيابة وتقدم بالبلاغ المذكور واتهم رئيس وحدة المباحث بمحاولة قتله وأن دفعات النيران أتلفت السيارة. وأن السيارة اتجهت نحو مياه النيل بتأثير ارتباكه لولا اصطدامها بشجرة .

وكان سائق السيارة قد سبق لضابط المباحث ومعه ضباط من أمن الدولة أن فتشوا منزله الذى يقيم فيه مع شقيقه كاتب النيابة ، وكان الكاتب قد اعترض القوة مدعيا أنه من أعوان القضاء ولا يجوز تفتيش منزله إلا بإذن صريح من النيابة . وقد أهانه الضباط وقيل أنهم ضربوه ضربا مبرحا . وإن كان تفتيش مسكنه لم يسفر عن شىء .. ولكن هذا التفتيش كان ضمن حملات تفتيشية على كل القرى بحثا عن الارهابيين أو الأسلحة .

وعندما حاول المأمور السابق الاتصال بوكيل النيابة لتوضيح الأمر ، وشرح ملابساته وخلفياته رد على التليفون كاتب النيابة إياه وكان وكيل النيابة مشغولا بالحديث على التليفون الآخر .

وعندما رفع كاتب النيابة التليفون وعرف أن المتحدث هو مأمور المركز لم يضبط انفعالاته وقال للمأمور :

- عايز إيه .. ؟

وكانت لهجته فيها نوع من عدم اللياقة فى الحديث مع شخص مسئول ، وعندما تدارك وكيل النيابة الأمر وتناول السماعة من الكاتب كان المأمور قد أدرك أن محدثه يسخر منه ويتعمد إهانته وسمعه وكيل النيابة وهو يقول :

- يظهر أنى بتكلم مع ناس جهلة ...

ووضع السماعة بعنف .

وقام وكيل النيابة بالاتصال بالمركز وطلب أن يتحدث مع المأمور . وتحدث معه بتحفظ شديد وأخبره أنه لم يرد عليه فى الأمر ، وأن الذى رد عليه هو الكاتب وأنه سيتخذ ضده الإجراءات الكفيلة بعقابه إداريا ، والتى قد تصل إلى حد نقله إلى محكمة أخرى وفى مركز يبعد كثيرا عن محل اقامته . وأن هذا لا يمنع تنفيذ قرارات النيابة .

وكان وكيل النيابة يتحدث مع المأمور بنوع من التحدى . الأمر الذى جعل المأمور يتمادى هو الآخر فى التحدى ، وأخبر وكيل النيابة أنه لن ينفذ هذا القرار حتى ولو كان الذى أصدره النائب العام شخصيا .

وختم المأمور حديثه مع وكيل النيابة بتلك العبارة الخالدة :

- وليكن ما يكون ... !

ووضع سماعة التليفون ..

وتوالت قرارات النيابة على المركز فى صورة إشارات تليفونية كلها تركز على ضبط وإحضار المأمور ورئيس وحدة المباحث ونائب المأمور الذى حاول أن يتدخل ويتكلم مع وكيل النيابة .

وتأزم الموقف ..

ورفع المأمور سماعة التليفون وحكى لمدير الأمن كل ما حدث بالضبط ولم يهمل التفاصيل الدقيقة وقرأ عليه قرارات النيابة ..

ويبدو أن مدير الأمن قد أبلغ مساعد أول الوزير للمنطقة الذى أبلغ بدوره الموضوع لوزير الداخلية . واقترح مدير الأمن اعتقال كاتب النيابة ولم يعترض الوزير وقال :

– هاتوه والقرار فى الطريق ..

وأبلغ مدير الأمن القرار للمأمور الذى أصدر أمرا على الفور لنائب المأمور ومعاون المباحث باحضار كاتب النيابة واعتقاله حتى لو دخل إلى بطن أمه من جديد ... ! وكان رئيس النيابة قد اتصل بالمحامى العام فى عاصمة المديرية . وكان الرجل حصيفا وعاقلا وأخبره أن الأمور لا تعالج بهذا الوضع . وأنه سيحاول حسم هذا الموضوع مع مدير الأمن .

وذهبت القوة التى شكلها المأمور لاعتقال كاتب النيابة فوجدوه وقد اعتصم بسراى النيابة ورفض الخروج ولاذ بمكتب رئيس النيابة

وأعيد الاتصال بالمأمور الذى اتصل بدوره بمدير الأمن فأمر بانتظاره خارج سراى النيابة وأنه لا داعٍ للتصعيد .

واتصل رئيس النيابة مرة ثانية بالمحامى العام وأخبره بنبأ محاولة اعتقال كاتب النيابة فأمره المحامى العام بإخراج الولد من مكتبه وأن قرار نقله من عمله بعيدا عن النيابة إلى عمل آخر جاهز ، وأنه يتعين عليه سؤال هذا الولد فى تحقيق إدارى وإرساله .

وكلف المحامى العام رئيس نيابة من مكتبه بالاتصال بالمأمور وكانت علاقته به جيدة وأصدر قرارات تلغى قرارات وكيل النيابة السابقة ..

وكانت المفاجأة أن المظروف الذى ورد فيه قرار اعتقال كاتب النيابة وجدوا فيه قرارا بنقل المأمور إلى مصلحة الأحوال المدنية .

وكان هذا القرار قد صدر قبل صدور حركة التنقلات العامة للضباط بخمسة أيام .. وبنقل المأمور واعتقال كاتب النيابة عادت العلاقات بين النيابة والمركز إلى حالتها الطبيعية ..

وكانت تلك الوقائع قد حكيت فى المديرية قبل وصولى للمركز . وفى المركز سمعت الواقعة بتفصيل شديد من أكثر من واحد .

فقد حكاها لى رئيس وحدة المباحث وأضاف إليها وقائع ليس فى امكانى ذكرها ..

وحكاها لى مخبر شهد الواقعة ..

وحكاها نائب المأمور .

دخل العسكرى وأخبرنى أن رئيس مجلس المدينة ينزل من سيارته عند باب المركز .

تقضى الأصول أن أخرج لاستقباله .

وعندما خرجت إليه وجدته يصافح أحد الضباط ..

عانقنى . ثم ربت بيديه على ظهرى ..

كان معه آخرون . قدَّمهم لى قائلا :

– أمين الحزب الوطنى .

وأشار إلى رجل يرتدى بدلة صيفية ضيقة جدا عند إبطيه . وكانت مشدودة عند بطنه .

وأشار رئيس المدينة إلى رجل آخر مفرط فى النحافة والطول إلى حد لم يتمكن من رفع جذعه مستقيما فانحنى عند الجزء الأعلى .

وقال رئيس المدينة وهو يشير إليه :

– رئيس المجلس المحلى .

ومد الرجل يده وصافحنى . وخيل إلى أننى لو شددت على يده فسينهار تحت تأثير الهزة . فصافحته برفق ..

وقدّم إلى رئيس المدينة رجلا ثالثا يرتدى بدلة كاملة مصنوعة من الصوف وتحتها صديرى من لون يختلف عن لون البدلة . ورباط عنق عريض يكاد يصل إلى البنطلون ويظهر أسفل الصديرى ..

وقال رئيس المدينة :

- أمين شباب الحزب .

وكان الرجل قد تجاوز الخمسين بكثير وقد غادرته علامات الشباب وحلت محلها هالة بيضاء على رأسه وفوديه وجزء كبير من شاربه ، ولا يدل على الشباب فيه سوى صحته الجيدة التى تليق بضابط .. !

وقدّم لى رئيس المدينة أيضا رجلا يرتدى قميصا ضيقا وينطلونا واسعا وقال :

- وده ياسيدى مدير العلاقات العامة للمجلس ..

رحبت بهم جميعا .

وكان نائب المأمور قد وصل ومعه رئيس وحدة المباحث وكل الضباط الموجودين فى المركز ، وقد وقفوا متجاورين وصافحهم رئيس المدينة والذين معه . وكان يرفع يده بتحية عسكرية حقيقية ومنضبطة . وفيما بعد عرفت أنه كان ضابطا برتبة عميد أركان حرب الفرقة العاشرة صواريخ . وأنه خرج من القوات المسلحة .

وعندما دخلنا المكتب . تحدث رئيس المدينة . وقال أنه يشعر بمدى خطورة الموقف وأنه لأجل هذا تلقى تكليفا من المحافظ بأن يضع تحت تصرف الشرطة كل إمكانيات المجلس .

وكنا بحاجة إلى إسكان عدد كبير من جنود قوات الأمن والأمن المركزى . وكنت قد تحدثت مع مدير الأمن فى هذا الموضوع فأخبرنى أنه يمكننى حل هذا الموضوع مع رئيس المدينة .

وأخبرت رئيس المدينة بحاجتنا إلى مكان يتسع لحوالى ألفين من جنود الأمن المركزى وقوات الأمن . ودهش الرجل - كعسكرى سابق - من ضخامة العدد . وبدا هذا من حركة وجهه وعينيه . ولكنه تدارك وقال :

– تحت أمرك . ممكن يحتلوا مدرسة لفترة مؤقتة . وأنه سيبحث هذا الموضوع مع مدير الإدارة التعليمية .

وفكر الرجل لحظة ثم أطرق للأرض ورفع رأسه وقال :

– طيب والإعاشة .. ؟

ولم أكن قد فكرت فى هذا الأمر .

وكتمت ضحكى لسبب بعيد عن حديث الرجل . فقد سمعت صوت شىء يصطدم بالأرض ونظرت ومعى رئيس المجلس ناحية الصوت فرأيت الرجل الذى قدمه لى على أنه رئيس المجلس المحلى ممددا على الأرض ورجليه ترفعان مرأ... [illegible] وكان يحاول النهوض . وكان الرجل قد جلس على كرسى بدون ظهر لا يستند على حائط ونسى أن الكرسى لا ظهر له ، وحاول أن يضجع للخلف كعادة كبار الشخصيات فى مكاتب المسئولين فهوى نصفه العلوى فقط إلى الأرض واصطدمت رأسه بها . وجرى إليه أمين الشباب وحاول مساعدته على النهوض .

وعندما نظرت فى عينى رئيس المدينة وابتسمت انخرط الرجل فى الضحك وتبعه أمين الحزب ثم أمين الشباب وأدار مدير العلاقات العامة وجهه ليفرغ ضحكه بعيدا عن رقابة رئيس المجلس .

وكان ضحك رئيس المدينة عميقا وصافيا وينم عن صحة جسمية . وشاركته الضحك العميق .. وكلما فرغنا من الضحك ونظرنا لبعض ننخرط فيه من جديد وشاركنا فيه الحاضرون .. وعندما انتهينا من الضحك قال رئيس المجلس إنه سيبحث كل هذه الموضوعات معه عندما يرد له الزيارة وشكا من ضعف امكانيات المجلس .

وحاول أمين الحزب الحديث وفعلا بدأ فيه وقال وكأنه يخطب :

– إن هذا الإرهاب جديد على البلاد . وأن بلادنا لا تعرف غير السماحة وأنه وافد وغريب ، وأن هناك أصابع أجنبية تتربص بالقومية العربية ..

وقاطعه رئيس المدينة وقال مستغربا :

– القومية العربية .. ؟!

وتحدث أمين الشباب وقال :

– لا شك أن للموساد يدا فيما يحدث .

وأيده فى ذلك رئيس المجلس المحلى الذى انهار منذ قليل ، وقال دون أن ينظر إلى أحد : إن الموساد يعمل جاهدا من أجل تفتيت الوحدة الوطنية .

وشربوا الشاى الذى أحضر إليهم .

وفى النهاية قرأ أمين الحزب الفاتحة من أجل أن يحفظ الله أمن المركز واستقراره .

★★★

دخل ضابط النوبتجية وهو برتبة الملازم أول . وكان قد رقى إليها منذ أيام قليلة ولكنه لا يزال يضع رتبة الملازم على كتفيه . سألته عن السبب فأخبرنى أنه سيضعها بمجرد شرائها من القاهرة عندما ينزل راحته الشهرية .

قدم إلىّ ورقة قرأت فيها :

السيد العميد مأمور المركز .

تحية طيبة وبعد

مقدمه لسيادتكم المواطن / فنجرى اسكندر مقار

أعرض على سيادتكم الآتى

بتاريخ أمس ٨/١٤ خرجت ابنتى عزيزة فنجرى البالغة من العمر ١٧ عاما من منزلنا الكائن فى ناحية بنى شنبر . وحيث أن المذكورة مريضة نفسيا ، وقمنا

بالبحث عنها فلم نجدها ولم نشتبه فى غيابها جنائيا . ولا توجد بينى وبين أحد أى خصومات أو خلافات . أرجو تحرير محضر إثبات حالة للنشر عن غيابها .

وتفضلوا بقبول وافر الاحترام ،،

مقدمه لسيادتكم

فنجرى اسكندر مقار

– قرأت الورقة . ولاحظت أن الرجل وضع بصمته بدلا من توقيعه بالتأشير على الورقة .

«نوبتجية ومباحث ويتم النشر»

وكانت فكرة الموساد التى قالها أمين الحزب لا تزال تدور فى رأسى وتمنيت أن يكون الموساد بريئا من موضوع اختفاء عزيزة بنت فنجرى حتى لا يتهمنا أحد بالتقصير .

★★★

خرجت من مكتبى أتفقد مبنى ديوان المركز .

وجدت رجلا يرتدى جلبابا أزرق له فتحة واسعة مستديرة عند رقبته يبرز منها عنق عروقه نافرة . كانت عيناه غائرتين . وجبهته مليئة بالأخاديد العميقة ويضع على رأسه طاقية لونها أسود وهى موضوعة على قمة رأسه وتلتصق بجلد رأسه الخالى من الشعر وكان لونه أسمر ويبدو فى العقد الخامس من العمر . جلس وهو مطأطئ الرأس واضعا ذراعيه على ركبتيه .

سألت ضابط منوب عنه فأخبرنى بأنه فنجرى الذى جاء يبلغ عن اختفاء نجلته .

بالقرب من باب النوبتجية لمحت امرأة تضع النقاب على وجهها ولا تظهر منه سوى فتحتى عينيها وملابسها طويلة وواسعة ولونها أزرق والنقاب على وجهها لونه

أسود . يقف بالقرب منها مخبر وعسكرى من عساكر الحراسة . وعندما لمحنى المخبر جاء لتحيتى وقال لى أن لها قريبا فى الحبس .

طلبت من الصول زخارى أن يسألها عن حاجتها . وعاد بعد قليل وقال :

– دى جايبة أكل .. !

ولاحظت هى أننى أتحدث مع زخارى وأنظر نحوها فأيقنت أننى أتحدث عنها كما عرفت من الطريقة التى كان يتحدث بها زخارى معى أننى مسئول .. بل ومسئول خطير .. فتقدمت نحوى . وعندما شاهدتها تتقدم نحوى سرت خطوات نحوها .. ولما صارت قريبة منى قالت بصوت منخفض :

– أخوى ماضى ليه سبوعين عندكم ..

وكانت تحمل فى يدها كيسا من البلاستيك الشفاف يظهر بداخله أرغفة ولفافة من الورق .

قلت لها :

– محجوز ؟

قالت :

– من غير سبب . أخذوه فى اللمه ..

قلت لزخارى وكان قريبا منى :

– دخلوا الأكل وفتشوه .

★★★

دخل علىّ الضابط الذى قدم لى إعلام غياب الفتاة ومعه الرجل الذى أبلغ عن واقعة اختفاء ابنته وفى يده محضر . قرأته :

بمعرفتنا نحن الملازم أول أحمد محمد ضابط منوب المركز .

أثبت الآتى :

حيث حضر إلى ديوان المركز ساعة افتتاحه المواطن / فنجرى اسكندر مقار من ناحية بنى شنبر وأبلغنا عن تغيب ابنته المدعوة عزيزة فنجرى سن ١٧ سنة .

وبمناسبة وجوده أمامنا شرعنا فى سؤاله بالآتى أجاب :

اسمى فنجرى اسكندر مقار من ناحية بنى شنبر ، سن ٦٣ سنة مزارع ومولود ومقيم فى بنى شنبر وأحمل بطاقة عائلية رقم صادرة من المركز .

س : ما تفصيلات بلاغك ؟

جـ : عشية الساعة عشرة الصبح طلعت بنتى عزيزة من البيت ومعرفش راحت فين .. ومن ساعتها لحد دلوقتى مرجعتش .

س : منذ متى وابنتك متغيبة عن البيت ؟

جـ : من عشية الصبح الساعة عشرة .

س : هل المتغيبة معتادة الخروج بمفردها والتغيب عن المنزل ؟

جـ : لع ..

س : واين تقيم المتغيبة عزيزة فنجرى ؟

جـ : قاعدة معاى فى البيت .

س : وما سبب خروجها من المنزل ؟

جـ : معرفشى .

س : هل هى بحالة طبيعية أم تعانى من أمراض ؟

جـ : أيوه هى تعبانه بعقلها شوية .

س : منذ متى وهى مريضة ؟

جـ : من حوالى شهرين وحالتها قرف .

س : ما هى أوصاف المتغيبة ؟

جـ : لونها أبيض . نحيفة وشعرها أسود .

س : ماذا كانت ترتدى قبل غيابها ؟

جـ : كانت لابسه جلابية منقرشة وأشارب ابيض .

س : هل تشتبه فى غيابها جنائيا ؟

جـ : لع .

س : ما هى الحالة التى كانت ابنتك عليها قبل غيابها ؟

جـ : يعنى أيه ؟ مش فاهم !

س : مخطوبة مثلا ؟

جـ : لع . مش مخطوبة .

س : هل توجد خلافات بينك وبين أحد ؟

جـ : لع .

س : هل توجد خلافات بينها وبين أحد ؟

جـ : لع .

س : هل توجد خلافات بين زوجتك وبين أحد ؟

جـ : لع .

س : هل قمت بالبحث عن ابنتك ؟

جـ : أيوه .. دورت عليها عند قرايبنا .

س : كم عمرها ؟

جـ : سبعتاشر سنة .

س : هل معك صورة للمتغيبة ؟

جـ : أيوه ..

ملحوظة :

قدم لنا المذكور صورة للمتغيبة عزيزة فنجرى اسكندر المبلغ بغيابها وأرفقت بالمحضر .

س : هل تتعهد بالإبـلاغ فور عثورك على ابنتك المتغيبة بمجرد العثور عليها ؟

جـ : ايوه – أنا متعهد .

س : هل لديك أقوال أخرى ؟

جـ : لع ..

واقفل المحضر بعد إثبات ما تقدم فى تاريخه وساعته ويقيد برقم (....) إدارى وتنشر أوصاف المتغيبة لحين العثور عليها .

بمعرفتى (...)

توقيع ملازم أول

وعندما عرض علىّ المحضر قمت بالتأشير عليه باللازم .

٢٦ أغسطس

عندما دخلت من باب المركز فى الصباح لم يطلق عسكرى الحراسة رقم واحد نداءه الشهير «انتباه» كما هو متبع عند دخولى المركز كل صباح .. !

أخبرنى واحد من الضباط أن مفتش الداخلية موجود فى المركز من ربع ساعة ، وهو يقوم بأعمال التفتيش على أعمال المركز .

وأخبرنى الضابط أنه يقوم بمراجعة المحاضر الموجودة فى النوبتجية .

توجهت إلى حيث يوجد المفتش ..

كان يرتدى الملابس المدنية . وهو ضابط برتبة عميد / ومعه موظف مدنى يكتب ما يمليه عليه المفتش . وهذا المفتش يتبع مصلحة التفتيش ولا يتبع مديرية الأمن . وهو يقوم بأعمال التفتيش والرقابة على جميع أجهزة الشرطة التابعة للمديرية .

كان المفتش جالسا فى مكان ضابط منوب . والضابط يقف أمامه وهو يتصبب عرقا كثيرا ما وقفت هذا الموقف عند بداية خدمتى وقتها خيل إلىّ روحى ستخرج قبل انتهاء التفتيش . وكنت بطبعى أكره عملية التفتيش منذ أن كان يقوم به الزملاء الأقدم فى كلية الشرطة .. وكنت أشعر بغيظ شديد وأنا أراهم وهم ينهشون ملابسى التى أنفقت وقتا طويلا فى ترتيبها فى الدولاب . وكان يلقون بالملابس على السرير وكانوا يزعمون أنهم يبحثون عن الممنوعات وهى فى ذلك الوقت السجائر والملابس المدنية وأعرف عن تجربة فظاعة هذا الأمر . والضابط قليل الخبرة والتجربة يرتجف وأمامه رتل من الدفاتر المتنوعة ما بين دفتر الأمانات ودفتر قيد الكفالات ودفتر الأحراز ودفتر المحجوزين ودفتر السجن ودفتر قيد القضايا ودفتر السيارات ودفتر الأحوال ودفتر السايرة ودفتر تحركات المجندين ودفتر التفتيش ودفتر بلاغات السيارات أثناء السير .

وسأله مفتش الداخلية عن محضر بطريقة عشوائية اختاره من دفتر قيد القضايا .. فأخرجه الضابط من دوسيه المحاضر وتبين أن المتهم أخلت النيابة سبيله بضمان مائتى جنيه . وطلب المفتش أن يرى دفتر قيد الكفالات فتبين أن المتهم دفعها وتأشر فى الدفتر .

ألقيت على المفتش تحية الصباح . ولم يكن متنبها !

همس الضابط فى أذنه :

– المأمور

نهض واقفا وصافحنى بأدب شديد . وأبدى اعتذاره .

أمرت باحضار عامل البوفيه . جاء على الفور . أمرته باحضار القهوة للسيد المفتش ومن معه واستأذنته فى الذهاب إلى مكتبى . وتركته يمارس وظيفته .

★★★

دخل نائب المأمور ، والغضب يظهر على وجهه الوسيم وقال :

– المفتش وجد تسعة فى الحجز من غير أوراق .. !

قلت مندهشا :

– كيف .. ؟

وكنت أعرف أنهم محجوزون بدون مبرر أو مسوغ قانونى وكانت دهشتى تتعلق بكيفية عثوره عليهم . اذ كان ينبغى إخفاؤهم بطريقة جيدة .

قال نائب المأمور :

– على ذمة أمن الدولة ..

وكان يقصد أن المحجوزين أحضرتهم أمن الدولة لأجل إجراء مزيد من التحريات عنهم حتى تتمكن من اثبات العلاقة بينهم وبين المتطرفين .

قلت لنائب المأمور :

– حاول تتصل بيهم – (أمن الدولة) – .

وكنت منذ ثلاثة أيام قد فتشت على هذا الحجز فى الليل فوجدت فيه أحد عشر محجوزا . منهم سبعة على ذمة المباحث الجنائية . ولكننى لم أهتم بالموضوع ، لأنه من الأمور المألوفة أن يوجد أشخاص على ذمة المباحث من المشتبه فيهم فى قضايا السرقات والخطف أو الحصول على «حلوان» من الذين سرقت مواشيهم من أجل استردادها ، وكان ضمن هؤلاء عدد كبير من الشباب والحاصلين على مؤهلات وكان حجزهم للاشتباه فى علاقتهم بالجماعات الاسلامية ..

وفى الغالب يتدخل عضو من مجلس الشعب أو الشورى أو واحد من الاعيان «من أصدقاء الشرطة» ويتوسط من أجل الإفراج عنهم . وغالبا ما ينجح فى مسعاه ويسحبهم فى يده عند خروجه من باب المركز - فيجد أهالى المحجوز فى انتظاره خارج سور المركز فيكون قد أسدى اليهم معروفا يحفظونه له عند إجراء الانتخابات .

★★★

وأنا فى القاهرة .. وحينما كنت أجهز ملابسى استعدادا للسفر إلى الصعيد طلبت من زوجتى وهى ترتب الحقيبة أن تضع شرائط الموسيقى التى أحب الاستماع إليها وهى تعرفها .. !

وفى الليلة الماضية بحثت عن جهاز التسجيل فوجدته ولكننى لم أجد شرائط الموسيقى . أحضرت معى جهاز الكاسيت فى المكتب .

ضغطت الجرس . جاء عسكرى المكتب واسمه «أبو بخلول» رفع يده بحذاء أذنه وضرب الأرض بحذائه الثقيل وقال :

- أفندم يا باشا ..

وقالها بطريقة مبهمة وسمعتها على هذا النحو :

- أفندف يا فاشا .

وبالطبع فهو لا يقصد المزاح أو التهريج . ولكنه أثناء تأدية طقوس التحية العسكرية والرغبة فى التعبير عنها فهو يتكلم بسرعة وقوة . فخرجت الكلمات من فمه مدغومة على النحو الذى سمعتها منه .

وفضلا عن هذا فقد كان أبو بخلول هذا فارع الطول بطريقة مبالغ فيها .

وكنت أعتبر نفسى فى عداد طوال القامة بالنسبة إلى زملائى ومعارفى من الناس . ولكننى عندما شاهدت «أبو بخلول» وكان يسير خلفى أيقنت أننى قصير القامة بالنسبة إليه .. وهو إلى جانب طوله الفارع جهير الصوت . وكنت اسمعه وهو يتحدث هامسا إلى زميله خارج المكتب بقلق قائلا :

– مش قرب يطلع .. ؟

وكان صوته واضحا وهو يستعجل خروجى من المكتب وذهابى الى الاستراحة لأجل أن يستريح هو من الدخول والخروج . وكان يعتقد أن أحدا لن يسمعه سوى زميله الجالس بجواره .

قلت له وهو واقف أمامى وأنا أناوله عشرة جنيهات :

– أى شريط ميوزيك ..

وهز رأسه علامة الاستيعاب وقال :

– حاضر ..

واستدار ليخرج . وقبل أن يصل إلى الباب عاد للخلف وقال :

– من الاجزاخانة يا باشا .. ؟

كتمت ضحكى وقلت :

– من أى محل يبيع شرائط كاسيت .

ابتسم ابتسامة بلهاء وقال وهو يتصنع الذكاء :

– سيادتك تكتب الصنف وأنا أشتريه ..

أخرجت ورقة وكتبت عليها :

– «السيمفونية السابعة أو التاسعة لبيتهوفن – أو مقطوعة الصباح لموزار أو لحن الخلود لتشايكوفسكى» .

وطويت الورقة وأعطيتها له وقلت له :

– شريط واحد ...

ومد «أبو بخلول» يده وتناول الورقة والنقود . ثم انتصب وخبط الأرض بقدمه وقال :

– حاضر يا أفندم .

ثم استدار على كعب قدمه الأيسر ومشط قدمه الأيمن بطريقة عسكرية لا شك فى سلامتها وخرج .

★★★

دخل مفتش الداخلية :

نهضت واقفا . جلس بجوارى وقال :

– الأمور منضبطة . لكن فيه بعض الملحوظات البسيطة ، وعلى العموم المركز منتظم ، وكنت أعرف أنه يكذب لأن نائب المأمور أخبرنى أن هذا المفتش وجد القيد غير منتظم فى دفتر الأحوال ودفتر قيد المحاضر وقيد المجندين ووجد اختلافات بين ما هو موجود فى خزينة المضبوطات وما هو مقيد فى دفتر قيد الأحراز .. وكذلك عدم اثبات أرقام السلاح فى دفتر السلاحليك . كما اكتشف عدم توقيع المأمور على الدفاتر . وذلك حسب ما تقضى به التعليمات .

قلت للمفتش الذى لم يخبرنى بهذه الملحوظات :

– شكرا ... شكرا ..

ثم نهض واقفا واستأذن فى الانصراف . وقال : إنه ذاهب للتفتيش على إحدى نقط الشرطة ولكنه لم يحددها خشية أن يعلم الضابط رئيس النقطة فيعمل على تلافى الأخطاء قبل وصول المفتش وينظم دفاتره .

وكنت أعرف أن كل تلك الملحوظات التى اكتشفها المفتش ستخطر بها المديرية فى تقرير مكتوب وبالطبع سيتم سؤالى فى تحقيق عن كل تلك المخالفات .

واستغربت أن هذا المفتش جاء إلى المركز فى وقت يحتاج إلى كل دقيقة لمواجهة الإرهاب .

★★★

دخل همام .. !

أو العمدة همام – كما يطلقون عليه – يرتدى جلبابا من الصوف الثقيل ويضع على كتفه شالا من النوع المزركش الوارد من كشمير فى الهند .

لفت نظرى بسمنته المفرطة ولونه الحنطى الأسمر . وكان وجهه ممتلئا . ولم استطع تمييز رقبته عن وجهه .

وتعجبت من قدرته على ارتداء كل تلك الملابس وعلى الأخص هذا الشال الثقيل كسجادة .

مد يده السمينة وسلم بعنف وقال :

– شرفتنا يا باشا ..

وفجأة سحب يدى . بل وسحبنى بعد أن مددت له يدى . واقترب منى ولف ذراعه السمين حول كتفى وعانقنى كأننى تعلمت معه فى فصل واحد طوال عشرين سنة .

كانت رقبته ضخمة ولامعة . وعليها سائل يشبه الزيت . ابتعدت عنه .

كان الرذاذ يتطاير من فمه وهو يتحدث فأصابنى بعضا منه فى وجهى أخرجت المنديل أمامه وبدأت أمسح قذائفه .

كان لا يزال يتكلم .. !

« .. يا باشا . احنا شفنا النور مرتين .. مرة لما الكهربا دخلت بلدنا .. والثانية لما حضرتك شرفت المركز .. يا بختنا .. يا سعدنا ... يا هنانا .. احنا مبسوطين

وكنت أعرف أن كل تلك الملحوظات التى اكتشفها المفتش ستخطر بها المديرية فى تقرير مكتوب وبالطبع سيتم سؤالى فى تحقيق عن كل تلك المخالفات .

واستغربت أن هذا المفتش جاء إلى المركز فى وقت يحتاج إلى كل دقيقة لمواجهة الإرهاب .

★★★

دخل همام .. !

أو العمدة همام – كما يطلقون عليه – يرتدى جلبابا من الصوف الثقيل ويضع على كتفه شالا من النوع المزركش الوارد من كشمير فى الهند .

لفت نظرى بسمنته المفرطة ولونه الحنطى الأسمر . وكان وجهه ممتائا . ولم استطع تمييز رقبته عن وجهه .

وتعجبت من قدرته على ارتداء كل تلك الملابس وعلى الأخص هذا الشال الثقيل كسجادة .

مد يده السمينة وسلم بعنف وقال :

– شرفتنا يا باشا ..

وفجأة سحب يدى . بل وسحبنى بعد أن مددت له يدى . واقترب منى ولف ذراعه السمين حول كتفى وعانقنى كأننى تعلمت معه فى فصل واحد طوال عشرين سنة .

كانت رقبته ضخمة ولامعة . وعليها سائل يشبه الزيت . ابتعدت عنه .

كان الرذاذ يتطاير من فمه وهو يتحدث فأصابنى بعضا منه فى وجهى أخرجت المنديل أمامه وبدأت أمسح قذائفه .

كان لا يزال يتكلم .. !

« .. يا باشا . احنا شفنا النور مرتين .. مرة لما الكهربا دخلت بلدنا .. والثانية لما حضرتك شرفت المركز .. يا بختنا .. يا سعدنا ... يا هنانا .. احنا مبسوطين

« ..... حضرتك أول يوم شرفت عندنا . النيل فاض عالآخر . والجو عال العال والحر الخماسينى اتعدل . وعندنا - والله العظيم وحق جلال الله - بقرة ولدت جوز ، ودى أول مرة يا باشا تحصل عندنا فى الصعيد . تتصور حضرتك أن سلمان أبو حنين - وحق جلال الله - قال : إن دى معجزة . بقرة تولد جوز . وهو قرأ فى الكتاب اللى عنده أن البلد تولد فيها البقرة جوز تبقى طول عمرها عمرانه . والبيت اللى تولد فيه البقرة جوز لا يمكن يخرب ليوم الدين .

أصل سلمان أبو حنين ده يا باشا عمره اكتر من ميت سنة ومخه واعى وسنانه متينة يقرقش الفول البلدى زى المدشة ويشوف عين الغراب فى الجو . وفضل يخلف عيال لغاية سنتين فاتوا .....»

وكنت خلال الكلام أتفرس فى وجهه أحاول العثور عليه فى الذاكرة ، ولكننى لم أعثر على شخص يشبهه أبدا فى ذاكرتى .

وهو إلى جانب سمنته ولونه الأسود له شفتان غليظتان ومتينتان وأنف ضخم مفرطح ملتصق بوجهه بطريقة تبعث على الضحك .

وتذكرت فى تلك اللحظة أننى رأيت فعلا صورة تشبه إلى حد كبير هذا الشكل وكانت الصورة فى مجلة مصورة بالألوان الطبيعية بمناسبة خلع الامبراطور الأفريقى «جان ليدل بوكاسا» وقيل وقتها إنه كان يأكل لحوم البشر .

وبدأت أعيد تقييم الرجل الجالس أمامى من جديد على ضوء ما تذكرته ، وتأملت أسنانه القوية الناصعة البياض وأصابعه الضخمة وأظافره التى لم يقلمها قط ، واكتشفت فى تلك اللحظة أنه له نابان قويان !

وفى لحظة خاطفة شعرت بالرعب .. !

وتمالكت نفسى . وكدت أضحك من الفكرة .. !

همست فى أذن مختار - رئيس وحدة المباحث - وأخبرته وأنا أضحك بما تذكرته عن الرجل والصورة التى تشبهه فضحك وقال :

– لكن يا باشا بوكاسا لم ينزل الصعيد أبدا ..

وفجأة رفع العمدة يده السمينة وقال :

– وحق جلال الله إن النور فى وش الباشا زى نور الأوليا ...

★★★

اقترب منى المقدم مختار وهمس فى أذنى بأن بعض عناصر الجماعات الإسلامية يختبئون فى منزل مهجور فى ضواحى المدينة ..

وقال : إنه يبلغنى قبل أن يبلغ مدير المباحث – وكان بذلك يظهر مجاملته لى – وأخبرنى أن المعلومة وصلته فورا ....

طلبت منه أن يبلغ مدير المباحث ، على أن أقوم أنا بابلاغ مدير الأمن . ولكننى تداركت وطلبت منه أن يتحقق من صدق المعلومة ، فأخبرنى أن أحد مصادره السرية أبلغه بذلك .

وأشار إلى حيث كان يجلس العمدة همام باعتباره واحدا من اكبر مرشديه .. !

أبلغت مدير الأمن .. !

وأبلغ هو مدير المباحث .. !

وأخبرنى مدير الأمن أنه سيتصل بى بعد ساعتين ليبلغنى بالقرار ...

★★★

غاب عنى المقدم مختار فترة قصيرة وعاد وفى يده خريطة مساحية واضحة للمركز وخريطة أخرى للمدينة ..

فرد الخريطة وأشار إلى ترعة تخترق عدة قرى وتتبعها حتى وصلت إلى حدود المدينة وأشار إلى جزء وقال :

– فى هذا البيت ..

وطوى الخريطة وبسط خريطة المدينة ، ونظر فيها ، ثم أشار إلى منطقة خارج كردون المبانى وحدد المكان .

وأشار إلى اثنين من المخبرين وأخبرنى أنهما يعملان فى تلك المنطقة وأنهما يعرفان – المنطقة جيدا .

سألهما عن البيت الذى أشار إليه على الخريطة .. !

قال أحدهما : إن هذا البيت مهجور . وهو مملوك لرجل يعمل فى الكويت منذ مدة طويلة وقام صاحبه بتشييد منزل بدلا منه .

وقال المخبر الثانى :

– بعد ساعة واحدة أجيب كل حاجة .. !

وبعد خروج المخبرين .. حكى لى مختار عن العمدة همام . وقال : إنه الى جانب خفة ظله وتمتعه بروح الفكاهة فهو مجرم ضالع فى الإجرام ..

وأنه ارتكب العديد من الجرائم . ولكن أحدا من أهل قريته والقرى المجاورة لم يشهد ضده فى أى واقعة من الوقائع التى أثيرت حوله شبهات فيها ، وقال مختار إنه حامت حول العمدة همام شبهات فى مقتل ثرى يعيش فى قصره فى إحدى القرى . وكانوا قد وجدوه مقتولا وهو عارٍ تماما وحجرته خالية من أى نقود أو مجوهرات واستجوبوا العاملين فى القصر فلم يظفروا منهم بأى معلومة تفيد التحقيق . ولكن بعض العارفين فى القرية أشاروا فى الخفاء إلى أعوان همام . ولكن أحدا لم يتقدم للشهادة خوفا من بطشه ...

كما حكى لى المقدم مختار عن حب العمدة همام الجارف للنساء . وأخبرنى أن رغبته هذه فاضت يوما على امرأة رآها فى السوق بصحبة زوجها فأمر أحد أتباعه بأن يتبعها إلى منزلها . وقام الرجل بابلاغ الزوج بأن همام يريده لأمر مهم وأنه سيأتى لزيارته ليلا ... ! .

واستقبل الزوج المسكين همام فى الليل . وقام أعوان همام بالجلوس مع الزوج وسقوه شيئا أفقده وعيه واختلى همام بالزوجة . وبعد أن فرغ منها داهمها نزيف حاد وغادر المنزل همام ورجاله . وجاء الناس والجيران وحملوها إلى المستشفى

وخوفا من الفضيحة قررت المسكينة للطبيب أن قرن جاموسة انغرس بين فخذيها .

وفى اليوم التالى وجدوا الزوج مقتولا بجوار منزله .. ! .

ولم تطق المرأة صبرا وتزوجت همام فى اليوم التالى لانقضاء عدتها . وأنجبت له ولدين وحكى المقدم مختار عن الإتاوات التى كان يفرضها على كل العاملين فى الكويت والسعودية ودول الخليج من أبناء القرية عند عودتهم إليها . ولما عرف العاملون هناك امتنعوا عن الحضور إلى القرية . ولكنهم سرعان ما وجوده هناك ضيفا على بعضهم وجمع منهم الأتاوات وعاد بها .

وسافر إلى السعودية فى موسم الحج بعد أن أرسل إلى مواطنيه هناك يبلغهم بأنه فى الطريق إليهم . وبالفعل استقبلوه وأعطوه المعلوم وتطوع واحد منهم بتكاليف الحج بشرط تأدية المناسك ولكن همام قبض النقود وبقى فى الفندق على حساب الجالية وغادر الأراضى المقدسة على أول طائرة ، وأكمل بقية المدة عند عشيقة فى عزبة النخل من ضواحى القاهرة وعاد إلى قريته مع عودة أول فوج من حجاج الطائرات .

ولم أصدق ما سمعته عن همام .. !

★★★

دخل ضابط .

وهو نفس الضابط الذى حرر محضر اختفاء البنت من قرية بنى شنبر وفى يده المحضَر .

قرأت فيه :

«فتح المحضر بتاريخ ٢٦ / ٨ الساعة ١٠ ص

بمعرفتنا نحن الملازم أول / أحمد محمد ضابط منوب المركز

أثبت الآتى

حيث حضر ساعة افتتاحه المواطن فنجرى اسكندر مقار والد الفتاة المبلغ بغيابها بتاريخ ١٩ / ٨ والمحرر بشأنها محضر الغياب رقم ( ) ادارى المركز لسنة ( ) .

وأبلغ بأنه تم العثور على جثة نجلته فى الساقية المهجورة لمنزله من الجهة القبلية ، وعليه أقفل المحضر بعد اثبات ما تقدم وقائم للمعاينة .

توقيع ....

وأعيد فتح المحضر بتاريخه السابق الساعة ١ ظهراً نحن محققه السابق أثبت الآتى :

• حيث قمنا بالانتقال لمكان الجثة وتبين من المعاينة ما يلى :

١ – منزل المبلغ يقع بزمام بنى شنبر حوض القلشين البحرى من الجهة الشرقية أرض زراعية ، والغربية ترعة الهدار ، والقبلية ساقية مهجورة ، والبحرية مسقى مياه عمومى .

٢ – الجثة موجودة بالساقية المهجورة المجاورة لمنزل المبلغ من الجهة القبلية .

٣ – الساقية مساحتها ٣ × ٤ متر مربع تقريبا .

وتوجد بها مياه راكدة . والمسافة بين مسطح الساقية والمياه حوالى ٣ أمتار تقريبا . ولا يمكن الجزم بعمق المياه فى الساقية .

الجثة طافية على سطح المياه على وجهها .

٤ – الساقية مغطاة بجذوع النخيل والقش . وتوجد بعض أجزاء غير مغطاة بجذوع النخيل ولكنها مغطاة بالقش والبوص .

٥ – قمنا باستخراج الجثة من الساقية المهجورة بمعاونة الأهالى وبمعاينتها تبين أنها لفتاة تبلغ من العمر حوالى ١٨ عاما تقريبا . والجثة فى حالة تعفن رمى. ويوجد عليها بعض الديدان . ترتدى بنطلونا أزرق اللون . وقميصا داخليا أحمر وجلبابا مشجرا .

٦ – لا توجد اصابات ظاهرة فى الجثة .

٧ – تم تعيين الحراسة اللازمة على الجثة لحين تصرف النيابة .

وأقفل المحضر عقب اثبات ما تقدم فى تاريخه وساعته .

وقائم لديوان المركز لاستكمال الاجراءات

توقيع .....

وأعيد فتح المحضر بتاريخه الساعة ١٢ ظهرا

بمعرفتنا نحن محققه السابق

أثبت الآتى :

حيث انتقلنا لديوان المركز ومعنا المبلغ والد الفتاة المتوفية ، ونظرا لوجوده معنا شرعنا فى سؤاله بالآتى أجاب :

– اسمى فنجرى اسكندر مقار ٦٣ سنة فلاح مولود ومقيم ببنى شنبر ، وأحمل بطاقة عائلية رقم ( ) وأقول .

س : ما تفصيلات بلاغك ؟

جـ : أنا كانت بنتى عزيزة غايبة عن المنزل من يوم السبت اللى فات . وكنا بندور عليها والنهاردة النسوان اللى بيجوا عندنا علشان الواجب شموا ريحة عفونة وحشة فاحنا قعدنا ندور لغاية ما عرفنا أن الريحة المعفنة طالعة من بير الساقية المهجورة اللى جنب البيت . فاحنا كشفنا البوص والقش لقينا جثة عزيزة موجودة فى الساقية .

فأنا جيت المركز وبلغت .

س : متى وأين حدث ذلك ؟

جـ : النهاردة الصبح .

س : منذ متى وابنتك متغيبة عن المنزل ؟

جـ : من يوم السبت اللى فات .

س : هل قمت بالبحث عنها ؟

جـ : أيوه دورت عليها .

س : هل قمت بالبحث عنها فى الساقية المهجورة ؟

جـ : لع

س : ولماذا ؟

جـ : مكنشى على بالى أنها وقعت فيها

س : كيف اكتشفت وجود جثة نجلتك فى الساقية ؟

جـ : فيه نسوان بيجوا عندنا فى البيت علشان الواجب والمجاملة . والنهاردة وهما موجودين شموا الريحة الوحشة . واحنا قعدنا ندور ولقينا جثتها فى الساقية وهى سبب الريحة الوحشة .

س : من صاحب الساقية ؟

جـ : الساقية المهجورة ملك المرحوم حسنين المنجد .. وهى دلوقت ملك الورثة .

س : هل تستخدم هذه الساقية فى الرى ؟

جـ : لع .. وهى كانت من زمان من حوال ٢٥ سنة وبقيت مهجورة . وبعدين غطيناها بالنخيل والبوص من خوف أن حد يقع فيها .

س : ما تعليقك لسقوط ابنتك فى الساقية ؟

جـ : هى كانت حالتها النفسية تعبانة وزادت عليها من شهر تقريبا بعد موت جدتها واحتمال هى مشت على القش ووقعت فى الساقية .

س : هل تشتبه جنائيا فى وفاتها ؟

جـ : لع . ده قضاء وقدر

س : هل أقدمت نجلتك على الانتحار ؟

جـ : لع . أبدا . هى ماتعملش كده واصل .

س : هل بينك وبين أحد خلافات سابقة ؟

جـ : لع .

س : من كان موجودا بالمنزل عند انبعاث الرائحة الكريهة من الساقية واكتشاف الجثة ؟

جـ : نسوان كتير وهما اللى شموا الريحة .

س : مع من تقيم نجلتك ؟

جـ : أنا وأمها وأخوها وأختها .

س : هل يقوم أحد بالاقتراب من الساقية التى تم العثور على الجثة بها؟؟

جـ : لع . والساقية دى مهجورة ومحدش بيقرب منها خالص .

س : هل لديك أقوال أخرى ؟

جـ : لع .

تمت أقواله وتوقيع منه

.....

ملحوظة :

حيث ورد إلينا التقرير الطبى الموقع على جثة المتوفية بمعرفة طبيب المجموعة الصحية ببنى شنبر نصه الآتى :

«بتوقيع الكشف الطبى الظاهرى على جثة المتوفية عزيزة اسكندر مقار من ناحية بنى شنبر ووجد بها الآتى :

١ – المتوفية انثى متوسطة البدن قمحية اللون تقريبا .

٢ – ترتدى بنطلونا أزرق وقميصا داخليا أحمر وجلبابا مشجرا .

٣ – الجثة متعفنة . وتبدو عليها عوامل التحلل الرمى ويخرج منها الدود .

٤ – يوجد احمرار بالجبهة من الناحية اليمنى .

٥ – العنق من الخلف مزرق .

٦ – لا توجد بالجثة اصابات خارجية .

٧ – تاريخ الوفاة اسبوع تقريبا .

سبب الوفاة :

لا أستطيع تحديد اسباب الوفاة ولا توجد اسباب جنائية والجثة تحت تصرف النيابة ..

والتقرير موقع عليه من طبيب أول الوحدة الصحية . وقد تأشر عليه بالنظر والإرفاق .

وأقفل المحضر بعد إثبات ما تقدم فى تاريخه وساعته .

(توقيع)

وعندما عرض على المحضر قمت بكتابة «تعرض الأوراق على السيد وكيل النيابة» .

وقلت للضابط أن يرسل المحضر مع عسكرى والشخص المبلغ للنيابة ..

★★★

سمعت العسكرى المعين للحراسة على باب القسم ينادى بصوت مرتفع :

– انتباه ... انتباه .

وعرفت على الفور أن ضابطا أعلى منى رتبة على الأقل يدخل الآن من بوابة المركز وضعت الكاب على رأسى . وأخذت بندقيتى الآلية فى يدى اليسرى وخرجت نحو الباب ..

وجدت نائب المأمور قد سبقنى واقترب منى وهو ينظر إلى السيارة اليابانية الجديدة التى حضر فيها ضابط كبير السن يرتدى ملابس مدنية وقال لى نائب المأمور : إنه سيادة اللواء مساعد المدير للمنطقة .

وكنت قد سمعت عنه ولكننى حتى الآن لم أقابله واعتبرت نفسى مقصرا فى حق الرجل فقد كان ينبغى على أن أقابله منذ اليوم الأول فى عملى . وكنت مشغولا بظروفى الخاصة التى نقلتنى فجأة من العاصمة إلى هذا المركز .

مد الرجل يده نحوى مصافحا .

أديت له التحية العسكرية – مع أنه يرتدى الملابس المدنية – ثم صافحته .

كانت يده قوية . وكان موفور الصحة وفيه حيوية يحسده عليها ابن العشرين .

شد على يدى وقال :

– أهلا ...

وسدد نحوى نظرات فهمت منها نوعا من العتاب .. !

وأطرقت نحو الأرض وقلت :

– آسف يا معالى الباشا ..

ربت على كتفى وقال :

– لا .. لا .. كلنا أخوة ..

وقالها بعقوبة تنم عن تواضع وترفع عن الصغائر . وبعد أن صافح نائب المأمور ورئيس وحدة المباحث والضباط إتجه ناحية مكتبى وأنا خلفه . وسار خلفنا الجميع .

حضر صحبة السيد اللواء ضابط برتبة عميد وضابط مباحث برتبة عقيد .

جلس سيادته على مكتبى وقال :

– طبعا عندك فكرة عن المأمورية .. !

قلت وأنا أزهو عليه :

– المعلومة من عندنا ..

ونظرت ناحية رئيس وحدة المباحث .

قال اللواء :

– نحن فى انتظار تليفون من مدير الأمن للتحرك .

ثم نظر ناحية العميد الذى حضر معه وقال :

– المجموعات والسيارات والسلاح .. ؟

نهض العميد واقفا وقال :

– تمام ...

دخل ضابط برتبة عقيد من أمن الدولة وسلم على اللواء وباقى الضباط ، وعندما جاء الدور علىّ صافحنى وقدم نفسه لى باسمه ورتبته .

وهمس فى أذن اللواء بكلمات . وبعدها هز اللواء رأسه وقال :

– تمام على بركة الله .

خارج المركز كانت تقف جرارات زراعية حوالى ستة أو سبعة جرارات بالإضافة إلى ماكينة عملاقة من تلك التى تستخدم فى تجريف الصخور ورفعها – تدفع الأشياء أمامها بعنف . وسيارات خاصة بالأهالى من تلك التى تنقل البضائع والحيوانات . وكان أيضا بالخارج جنود يرتدون الملابس المدنية – زى أهالى المدينة .

ركبت السيارة – نصف نقل – بجوار سيادة اللواء . كان يقودها بنفسه وأمامنا سيارة فيها ضباط أمن الدولة والمباحث الجنائية وخلفنا سيارات فيها باقى القوات والجرارات الزراعية.

تحركنا ناحية أطراف المدينة .

وعند ميدان واسع توقفنا . ونزلنا خلف ضابط أمن الدولة . وأشار المقدم مختار إلى منزل وقال :

– هنا ..

وبسرعة أحاطت القوات المنزل من جميع الجهات . من الناحية الخلفية توجد زراعات قصب تمتد حتى نهر النيل . وهى عبارة عن مساحات متصلة . فإذا ما دخلها أحد يتعذر تعقبه أو معرفة مكانه بالضبط . فحقول القصب كالبحر تماما .

★★★

خرج أحد الضباط وفى يده ميكروفون وأخذ يصيح ..

– على كل الأهالى عدم الخروج من المنازل . وإغلاق النوافذ والتزام الهدوء. وبالفعل أغلق الأهالى بيوتهم .

وبدأ الجنود فى اقتحام المنزل !

وبدأ إطلاق الرصاص بغزارة . وسمعنا صراخ نسوة .. وصيحات فزع . ثم عم الهدوء . وخرج ضابط من المنزل وجرى نحونا وقال :

– لم نجد أحداً ..

وسأله اللواء :

– على من أطلقتم الرصاص ؟

وسكت الضابط لحظة وقال :

– أطلقناه على الموجودين فى المنزل . ولكن لم يصب أحد ..

وعاد بعده عدد من الضباط والجنود ومعهم رجلان وامرأة مسنة وأطفال . كان أحد الرجال يصيح :

– خربوا بيتى . منهم لله . منهم لله

ولم أعرف من يقصد

ولكننا فى النهاية تراجعنا وعدنا إلى المركز .

★★★

سر التحميل من مكتبتي

٢٧ أغسطس

اتصل بى ضابط من المديرية وأخبرنى أنه علم الآن أن ثلاثة من أعضاء الجماعات الإسلامية قتلوا فى المركز المجاور ، كانوا مجتمعين فى وكر وأن الثلاثة من أبناء هذا المركز ، ويقيمون فيه . وأخبرنى بالأسماء وقال : إنه من المحتمل أن تصل الجثث قبل غروب الشمس ، وكتبت الأسماء على ورقة أمامى.

نظرت فى ساعتى فوجدتها تقترب من الثانية ظهرا .

اتصلت برئيس وحدة المباحث وأخبرته بما سمعته وطلبت منه أن يتعرف على محال اقامتهم ، وأخبرنى أنه سيتولى هذا الموضوع .

بعد ربع ساعة جاء رئيس وحدة المباحث ومعه عناوين ومحال إقامة الأسماء التى أعطيتها له ، وأخبرنى أنه لن يحدث ما يعكر صفو الأمن العام أثناء عملية إحضار الجثث وإجراءات الدفن ، وقال :

– يستحسن أن نستدعى العمدة همام .. !

سألته عن السبب فقال :

– اثنين من القتلى فى زمام قريته . والثالث من عزبة بجوار قريته وتابعة له أيضا .

★★★

اتصل بى ضابط من أمن الدولة .. !

عرفته بمجرد ذكر اسمه ، عرفته على الفور ، عمل معى ملازما عندما كنت فى القاهرة معاونا لقسم المطرية ، وكان والده يسكن فى نفس العمارة التى أسكن فيها .

أخبرنى مجدى وهذا اسمه . بعد تبادل التحيات والسؤال عن الأهل والوالد، أن الثلاثة القتلى ضبطت معهم أوراق بها رسوم تخطيطية لأماكن مكاتب الضباط فى المركز الذى أنا مأمور له ، وموضح بالرسوم كيفية الدخول للمركز والخروج منه ، وأماكن السلاحليك والذخيرة ، وكذلك عناوين استراحات الضباط وأسماء أولادهم وزوجاتهم .

وهيمن علىّ الرعب .. !

ولكننى تداركت أن الأعمار بيد الله وتماسكت .. !

ونظرت إلى البندقية الآلية بجوارى ، وكانت على مكتبى طلقة سليمة أمسكتها بيدى ونظرت فى مقذوفها المدبب . وخيل إلىّ أننى استمع إلى دفعات تخرج من بندقية آلية وشعرت أننى أضع مؤخرتها فى تجويف كتفي وأصوبها ناحية صورة أمامى ، وخيل إلىّ أننى أضغط على الزناد .

وكنت قد أيقنت أن الذى يبدأ باستخدام هذا السلاح هو الذى سيقضى على خصمه ، وكنت لا أزال استمع إلى مجدى وهو يتحدث ، وتذكرت أنه من المحتمل أن توجد مجموعة أخرى من هؤلاء لم يقبض عليهم أو لم يقتلوا ويكملوا ما فشل فيه زملاؤهم ويقومون باغتيالنا وفكرت فى زوجتى والأولاد الصغار ..

ولكننى أسلمت أمرى لله وقلت :

– ليكن ما يكون وفى النهاية ستفذ مشيئة الله .

★★★

جاء العمدة همام .. !

ومعه سبعة رجال وامرأتان ، قال : إن اثنين من الرجال هما والدان لاثنين من القتلى واثنان أشقاؤهما والخامس شيخ خفراء القرية والسادس مدرس ابتدائى جاء من قبيل المجاملة والسابع خال القتيل الثالث . والسيدتان هما والدة القتيل الثالث مع قريبة لها .

وجدت نفسى أنظر ناحية والدة القتيل .

كانت ساكنة ، لم ترفع وجهها عن الأرض ، وكنت أعتقد أنها لن تسيطر على نفسها وأنها لن تكف عن اللطم والبكاء والعويل .

ولكنها كانت صامتة وهادئة وكأن القتيل ابن ضرتها ..

أشار لهم همام أن يخرجوا ويجلسوا خارج المكتب .

وبالفعل خرجوا . الرجال وقفوا معا ، أما النسوة فقد التصقن بالحائط وجلسن على الأرض وهن مطرقات .. !

أشفقت على صمت المرأة وتماسكها ..!

قال رئيس وحدة المباحث لهمام :

– جهزت المقابر .. ؟

أجاب همام :

– أيوه .. أبو نزلاوى هناك وزمانه جهزها ..

★★★

اتصلت بالمديرية فأخبرونى أن الطبيب الشرعى فى طريقه إلى المستشفى حيث توجد الجثث .

بعد نصف ساعة بالضبط خرجت ومعى قوة كبيرة وأهلية القتلى وانتظرنا عند أول الطريق المؤدى إلى المدافن .

فى أول الأمر وصلت سيارة شرطة صغيرة فيها ضابط برتبة نقيب وفى يده جهاز لاسلكى توقفت السيارة ونزل منها الضابط وبعد أن أدى التحية أخبرنى أن الموكب خلفه ، وما أن أنهى كلمته حتى ظهرت سيارة إسعاف بيضاء وهى قادمة نحونا بسرعة كبيرة وتطلق أصواتا مزعجة كأنها نواح أو صراخ .

خلف سيارة الاسعاف ثلاث سيارات تحمل تشكيلا كاملا من الجنود المسلحين ومعهم عدد كبير من الضباط النظاميين وضباط أمن الدولة ومعهم أيضا اللواء مساعد المدير للمنطقة ، وضباط من المباحث الجنائية .

ركبنا السيارات وركب أهلية القتلى سيارة رئيس وحدة المباحث ومعهم المخبرون .

وانطلقت بسيارتى فى مقدمة الموكب .

★★★

تقع المدافن فى منطقة ترتفع عن الأرض الزراعية المحيطة بها ارتفاعا ملحوظا ، فهى تستقر على تل من التراب المختلط بالرمال ، وبدت من بعيد كقرية مهجورة أصابها الخراب ، وكلما اقتربنا ظهرت بعض القباب الصغيرة.

وبدت أمامى بعض المقابر كصور مصغرة من مقابر الإمام الشافعى عندنا فى القاهرة ، وبدأت ألمح بعض أشجار النخيل والصبار كبيرة الحجم تنمو وسط المقابر .

وعندما وصلنا إلى المدافن رأيت بعض قمائن الطوب الأخضر والأهالى يعجنون الطين وآخرين يجلسون القرفصاء وأمامهم كتل الطين يقتطعون منها قطعا صغيرة ويصبونها فى قوالب من الخشب أمامهم ، وعندما يرفعون القالب الخشبى تبدو قطعة الطين على شكل مستطيل ، وكان هؤلاء يزحفون على أقدامهم وهم جالسون إلى الخلف كانت مساحة الأرض المرصوصة بالطوب أمامهم على هيئة مستطيلات بديعة التكوين فى نظام محكم .

فجأة وجدت الرجال الذين يصنعون الطوب ينهضون تاركين الطين الذى لم يتم تشكيله وفى أيديهم القوالب الخشبية وفروا هاربين داخل بيوت مشيدة

بالطوب الأخضر من دور واحد ، وكانت أجسادهم كلها ملطخة بالطين وبعضهم كان عاريا تماما ولا شئ يستره ، وكنت أعرف أنهم يرتكبون جنحة تجريف الأرض الزراعية وما أن شاهدوا الحكومة حتى فروا لعلمهم أنها لا تأتى عندهم إلا لتقبض عليهم .

وقد أشفقت عليهم ، فهؤلاء غير قادرين على بناء بيوتهم بالأسمنت والحديد المسلح كما يفعل الأغنياء ، ولكنهم منذ آلاف السنين وهم يبنون بيوتهم ومقابرهم بهذا الطين فلا الأرض نقصت ولا نسلهم انقرض .

المساكن التى شيدها الفقراء حول المقابر زحفت عليها فلا يمكن أن نميز البيوت عن المقابر الا عندما ينظر من باب البيوت طفل عار تماما أو نرى عنزة متهالكة مربوطة بجوار هذا الباب ، ورأيت امرأة تنحنى على طلمبة مياه وتقبض على ذراع الطلمبة بيدها ونصفها العلوى يرتفع ويهبط ، كانت ملابسها بالغة القذارة ولا لون لها والماء ينساب من فوهة الطلمبة التى تشبه رأس الكلب ، لا شك أنها تجهز المياه لزوجها الذى كان يصنع الطوب ليستحم ..

وقد شعرت بنوع من تأنيب الضمير أن شغلنى موضوع امرأة تجهز المياه لزوجها وقذارة ملابسها عن جلال الموت الذى ضم موكبنا الحزين .

ونظرت ناحية السياراة فوجدت مئات العساكر والضباط وفى أيديهم الأسلحة وعشرات السيارات ومع ذلك خيم الصمت الحزين على كل شئ ..!

★★★

وقفنا فى انتظار أن تفتح سيارة الأسعاف أبوابها الخلفية لاخراج الجثث...

انضم إلينا أهل القتلى وبعض الأهالى من سكان المنطقة المحيطة بالمقابر

وأخبرنى واحد من هؤلاء - يبدو أنه يتمتع بقدر من التعليم - أن هذه المقابر أقيمت وشيدت منذ الأزل .. !

ولم أفهم معنى هذا .. !

ولكنه عاود الشرح متطوعا لوجه الله تعالى وقال : إنها كانت فى الأصل مقابر للأروام والنصارى ثم أشار ناحية منطقة أخرى من المقابر ولكنها صغيرة الحجم وقال :

- دى مقابر النصارى .. !

وشاهدت قبة عالية تشبه قبة من قباب قلعة محمد على ولم أكن قد شاهدتها عند وصولى وهى مشيدة بالطوب اللبن .

وسألت الذى كان يشرح لى عنها فأخبرنى أنها قبة «سيدى عبدالحميد الجمال» وقال : إنه كان لايطيق الملابس على جسده ، وكان ينطلق عاريا بدون ملابس ، وأن أهل الخير حاولوا أن يعطوه شيئا يستر به جسده ولكنه كان يقذفها بعيدا عنه ويقول لهم :

- الملابس لا تستر العورات .

وقال : إنه كان يتجول عاريا هكذا فى شوارع القرية والقرى المحيطة بها وقال : إنه ما من مرة وطلب فيها الشيخ عبدالحميد نقودا من أحد إلا أعطاه فقد كان لا يمد يده لمن ليس معه نقود. وحدث أن مد يده إلى واحد من الاغنياء البخلاء فطرده .. ورفض أن يعطيه فقال الشيخ عبدالحميد :

- إن شاء الله زائلة .

ولم يمض شهر واحد حتى هلكت مواشى الرجل وجفت زراعته فى الحقول واشتعلت النيران فى أجرانه ومحاصيله وأصبح يا مولاى كما خلقتنى - عرفت فيما بعد أن الذى يحدثنى يعمل مدرسا للتاريخ فى مدرسة ثانوية .

وأخبرنى الرجل أيضا أن الشيخ عبدالحميد الجمال رحمة الله عليه كان يتمتع بعدد هائل من الكرامات اختصه الله بها : ومنها أنه بامكانه تسكين البهائم الهائجة بمجرد وضع يده على كفلها ، وبعدها يستطيع أصغر طفل أن يقودها ويجرها بالحبل .

وأخبرنى أيضا وهو يبتسم أن المرأة التى تلمس ذكر الشيخ فى غفلة منه تنجب بعد ذلك من زوجها إذا كان عاقرا .

وقال : إنه عندما مات الشيخ وغسلوه وكفنوه وحاولوا وضعه فى النعش وجدوا جثمانه ثقيلا .. ولكنهم وضعوه فى النعش بصعوبة بالغة ، وعندما حاول أربعة من الرجال الأشداء أن يرفعوا النعش لم يتمكنوا ، وهنا تقدم واحد من أبناء القرية ويمت بصلة قرابة للشيخ وأعلن للحاضرين أن الشيخ عبدالحميد زاره فى منامه عاريا وبرك عليه وأمره أن يشيد له قبرا عند مقابر الاروام .. وبعد أن قال الرجل هذا الكلام رفع الرجال الأشداء النعش بسهولة ، وعندها صاح أهل القرية المجتمعين :

– شهدنا لك يا سيدنا الشيخ !

وبالفعل شيدوا له المقبرة وعليها القبة الكبيرة فى المكان الذى حدده .. وأخبرنى الرجل أنه على مدار العام تحضر النسوة من القرية والقرى المجاورة لها لزيارة ضريح الشيخ ويحملون إليه النذور .

وأطرق المدرس الذى كان يحدثنى للأرض وقال :

– لكن السنية هدموا الضريح على جثمان الشيخ ومنعوا الناس من زيارته، وقالوا هذا شرك بالله .. !

وتوقف الرجل الذى يحكى عند وصول أكثر من خمسين امرأة وهن يصرخن ويلطمن على وجوههن واحداهن تصرخ وتقول :

يو .. يو ... يو

أيوا دا نزعل عليه

أيوا دا نزعل عليه

السلاح الحلو فى ايديه

ما يخيل إلا عليه

يوى .. يوى .. يوى

وقد عجزت فى أول الأمر عن تدارك ما يصرخن به أو يغنين ، فقد كان كلامهن منغوما وملحنا بطريقة جد حزينة وبالغة التأثير فى النفس وهو ما جعل دمعة تنحدر من عين المدرس الذى كان يحدثنى ، وأدار وجهه بعيدا عنى..

واستطعت أن أصل إلى المعانى عندما هتفت بها امرأة منفردة ، وعرفت أنها تزعل على هذا القتيل الذى كان يستخدم السلاح الحلو والذى يزينه ويزيده جمالا وأن هذا السلاح لا يبدو جميلا إلا عندما يتقلده هذا القتيل .

كان هذا هو المعنى الذى تقصده هذه المرأة أو الذى تقصده كل النسوة الباكيات الصارخات اللائى وصلن إلى المكان حالا ، وقد رأيت الرجال الذين وقفوا – بالقرب منا يدفنون وجوههم فى مناديلهم وبعضهم رفع طرف جلبابه ليمسح دموعه التى ترقرقت على صوت إنشاد المرأة الحزين .. !

وفى لحظة شعرت بحزن عميق .. !

وشعرت بنوع من التقدير لهؤلاء الرجال والنسوة بل والقرية كلها التى تمجد قتلاها من حاملى السلاح ! .

ولكننى سرعان ما تذكرت على الفور أدهم الشرقاوى الذى يتداول قصته

الشباب واهتمت الثقافة الجماهيرية بقصته وجعلتها فى مسلسل إذاعى وجعلت لقصته أوبريت صفق له معظم المصريين إلا رجال البوليس ، فقد كانوا يطاردونه .

ولم يكن غريبا أن تبكى القرية شبابها وتلطم الخدود فقد مرغوا هيبة الشرطة ووضعوها فى التراب ..

وأيقنت أن كل المحاولات التى تبذل لاجتثاث عادة الثأر لن تجدى مادامت الندابات ينشدن مثل هذه الأناشيد التى تقطع القلوب وسمعت واحدة تصيح :

عينى عليه لما وقع

والدم من جرحه نقع

عينى عليه لما راح .

والدم من جرحه ساح

يوى .. يوى .. يوى

ثم كررت الكلمات عدة مرات .. وفى كل مرة يزداد اللطم والصياح .. وكنت أفكر فى طريقة تمنعهن من الاسترسال فى هذا الكلام الذى يمزق نياط القلوب، ولكننى تراجعت وقلت لنفسى :

– لا ينبغى أن نمنع الناس من متعة الحزن .. !

وانزلت الجثث من سيارة الاسعاف ووضعت فى النعوش الثلاثة التى جهزت .

ولاحظت أن الجثث وضعت فى النعوش كما هى وآثار الدماء عليها ووضعت النعوش فى صف واحد .

ووجدت الرجال وقد اصطفوا فى صفوف ثلاثة تجاه القبلة والنعوش أمامهم ..

وتقدم واحد منهم يبدو عليه الوقار – كان هو الرجل الذى شرح لى كرامات الشيخ عبدالحميد .. ! .

وقف أمام الصفوف ووجهه تجاه القبلة ورفع يديه لأعلى وقال :

– اللهم أغفر لهم ، وأنزلهم جناتك ، فهم عبادك ، وماتوا من أجل إعلاء كلمتك ! .

ثم أقام الصلاة وكبر لصلاة الجنازة وخلفه الناس وقال :

– نويت أقيم صلاة الجنازة على أرواح الشهداء .. الله أكبر ! .

★★★

بعد انتهاء إجراءات الدفن ، أحاط المخبرون بالرجال الذين أحضرهم العمدة همام من أهلية القتلى ، أصدر اللواء مساعد المدير تعليماته إلى الضباط بإخلاء المقابر من الناس .

ولم ننصرف من المقابر إلا بعد أن غادرها كل الموجودين من الرجال والنسوة .

وقام رئيس وحدة المباحث بإحضار «أبو نزلاوى» وهو التربى الذى فتح المقبرة ، وهو الذى تولى ادخال الجثث فى المقابر ويقيم فى منزل بجوار هذه المقابر ، وقام بالتنبيه عليه بحراسة المقابر وعدم السماح لأحد بالعودة إلى المقابر أو إعادة فتحها مرة ثانية لإخراج الجثث .

وذلك لاحتمال أن يقوم بعض الشباب بفتح المقبرة وإخراج الجثث للتشهير بالشرطة .. وأعلن الرجل بكل ثقة عن مسئوليته عن حماية المقابر وأنه لا يمكن لأحد الاقتراب منها إلا بغرض الدفن .. ! .

ولكزه العمدة همام فى جنبه وقال :

– أوعى يا ابن الكلب تبيعهم بالقطعة لطلبة الطب .. ؟

وكدت أضحك .. !

واستطرد العمدة همام قائلا :

- لو مؤاخذة يا باشا .. أصل ابن الشرموطة ده .

وأشار إلى الحانوتى «أبو نزلاوى» وقال :

- بعد ما نمشى هايبيع كل جثة بالشئ الفلانى .. !

★★★

عدنا ومعنا أقارب القتلى ، وأخطرت المديرية بتمام الدفن .. !

وفى المكتب أعطانى أبو بخلول - شرائط كاسيت - كنت قد طلبت منه شراءها منذ عدة أيام ونسيت تماما هذا الموضوع فى زحمة العمل لدرجة أننى دهشت عندما قدمها لى وأعطانى سبعة جنيهات بقية النقود التى أعطيتها له..

وكنت فى كل مرة أرى فيها أبا بخلول يخيل إلىّ أننى أراه للمرة الأولى..!

وكنت أتعجب لهذا الإحساس .. !

وعندما مد يده لى اكتشفت أن أصابع يده ستة وليست خمسة وكان الأصبع السادس مطويا فى قبضته وهى مضمومه :

سألته :

- أنت لك ست صوابع يا أبو بخلول ؟

قال وهو مطرق للأرض كمذنب :

- أيوه يا باشا ..

ثم بسط أمامى أصابعه وهى تشبه أصابع الموز المستورد من الصومال فى ضخامتها ..

قلت لنفسى :

– كان الله فى عون زوجته .

وشكرت «أبو بخلول» على الشرائط ..

أخـرجت جـهـاز الراديو كـاسـيت من المكتب ووضـعت شـريطا منهم وبدأت استمع .. !

سمعت صوت موسيقى يشبه صوت الناى تصاحبه طبلة . لم يكن ما أسمعه الآن ينتمى بأى حال من الأحوال إلى الموسيقى التى تعودت على سماعها ، وهى عبارة عن موسيقى صاخبة تشبه المارشات العسكرية ، وكنت قد ألفتها وتعودت عليها وأصبحت أميل إليها وشيئا فشيئا بدأت تلك الموسيقى الصاخبة تطربنى ، واكتشفت أن كثيرين غيرى يطربهم هذا النوع من الموسيقى الذى يشبه موسيقى الجنازات العسكرية ، وبدأت استمع إلى هذا الناى مع الطبلة وبعد فترة انساب عزف الناى منفردا .. وخيل إلى أن كل التوتر الذى كنت فيه قد بدأ ينزاح تماما .. ثم جاء صوت لرجل يغنى بصوت بالغ الروعة ، كان الصوت عميقا ومؤثرا ويتوافق تماما مع صوت الناى المصاحب له .

صوت نقى صادر من جوف ممتلئ ونفس طويل يغنى قائلا :

عنب طاب على الكرابيل

وأنا المحروم ..

ما جناشى .. !

كتر خير عقلى اللى من الرأس ..

ما جراشى .. !

واللى بحبه بقاله سنين ..

ما جناشى ..

★★★

جميل باأحبه ما يغضب

كل يوم نوبه ..

مشو وراه العوازل

بالكلام ..

تلفوه

طلقوا عليه البخور

والله ..

تلفوه

ويا خسارة .. تلفوه

وما اتهنيت ..

ولا نوبة ..

★★★

والحق أننى لم أفهم معنى كلمة واحدة من الكلمات التى سمعتها . ولكننى كنت منسجما مع النغمة وترتيب الكلمات مع الوقفات .

وظللت استمع بمفردى هذا الشريط حتى انتهى ، وكأننى غير موجود فى هذا المكتب الكريه .. ! .

تم التحميل من مكتبتي

٢٨ أغسطس

لم أكن قـد زرت مكتب اللواء نائب المدير للمنطقـة ، وهو يقع فى المدينة المجـاورة لمركـزنا ، وكـان ينبـغى أن أزوره بمجـرد وصـولى للمكتب كنوع من التحية للرجل ، هذا فضلا عن أنه كلمنى أكثر من ثلاث مـرات ، وكان ينبـغى أن أقابله أو على الأقل أحيطه علما بالحـوادث الكبيرة التى تقع فى دائرة المركز وأتلقى توجيهاته ، وكان يتعـين أيضا اخطاره بانتهاء عملية دفن القتلى دون حدوث مـا يعكر الأمن العام . والحق أننى اكتفيت بوجود السيد اللواء مساعد المدير .

اتصلت به وأبلغته بأن عملية الدفن تمت بهدوء .. وأخبرته أننى اكتفيت بوجود سيادة اللواء مساعد المدير وأنه لهذا السبب فإننى تأخرت فى الإبلاغ .

طلبت من «أبو بخلول» أن يجهز السيارة ..

وعاد بعد ربع ساعة وأخبرنى أن السيارة جاهزة .. !

حملت بندقيتى الآلية وخرجت ، وخرج خلفى أبو بخلول وفى يده بندقية آلية وأربعة مجندين مع كل منهم بندقية آلية ، وكان سائق السيارة يحمل فى وسطه طبنجة .

طلبت من السائق أن يتحرك إلى المركز المجاور .

★★★

السائق تجاوز الستين ، جسده نحيل وعيناه قاسيتان وهو لا يتكلم إلا إذا كلمته ...

قلت له :

– عندك أولاد يا عبدالرشيد ؟

قال دون أن ينظر نحوى :

– تسعة .. !

قلت له :

– كلهم ذكور ؟

– أيوه .

ولاحظت أنه لم يظهر على وجهه أى نوع من الانفعال أو الابتهاج والفخر وكنت كلما سألت أحدا عن أولاده فى هذا المركز فإنه يجيبنى بكل فخر :

– سبعة يا باشا !

وقد تصورت أن عبدالرشيد مهموم بسبب هؤلاء التسعة ، سألته عن أحوالهم فأجاب باقتضاب :

– عال ..

ثم أوقف السيارة خلف طابور طويل من السيارات ..

نزل عبدالرشيد ، ونزل المجندون ومعهم أبو بخلول وأحاطوا بالسيارة حولى ومعهم البنادق الآلية فى وضع الاستعداد .

قال عبدالرشيد بضيق :

– تفتيش .

ودخل فى السيارة ، وضغط على مفتاح فيها وسمعت صوت «سرينة» مميزة عبارة عن صرخات متتالية ، وبعدها بدقائق بدأ طابور السيارات أمامنا فى التحرك ..

★★★

وصلنا عند مدخل المدينة التى فيه مكتب اللواء نائب المدير للمنطقة وهى المدينة التى تخرج منها كبار قيادات الجماعات الإسلامية عدد منهم موجود فى الخارج ومن هناك يديرون المعركة بنجاح كامل ، وفى هذا المركز وقعت حوادث عنف جسيمة ألقت بظلالها المأسوية على طبيعة الناس والحكومة أيضا ، وفيها أيضا وقعت حوادث عنف راح ضحيتها عدد من السياح الأجانب أثناء زيارتهم للآثار الموجودة فى المركز ، ومما زاد فى عدد خسائر السياح ضربهم داخل الباصات مما جعلهم فريسة سهلة للرصاص الآلى ..

وحسب ما وصلنى من معلومات فإن حوالى سبعين فردا من الجماعات الإسلامية مازالوا يهيمون فى الصحراء المجاورة والمغارات وحقول القصب ، ومن آن لآخر يهبطون بأسلحتهم وينقضون على فريستهم سواء كانت سيارة أو رجال شرطة مترجلين وبعد أن يجهزوا عليهم ينزعون منهم أسلحتهم التى يستخدمونها ضدنا .. !

اقتربنا من نقطة التفتيش ، وجدت اثنين من الضباط يحمل كل منهم بندقية آلية ويرتديان الملابس المدنية وأحدهم ارتدى سروالا من الجينز ، وقد ترك الضباط لحاهم لتنمو وأهملوا حلاقتها فكان مظهرهم أقرب إلى ما نراه على شاشات التليفزيون من أعضاء حزب الله اللبنانى والميليشيات الأخرى أثناء صراعها على السلطة فى لبنان ، فى الوقت الذى قام فيه أعضاء الجماعات الإسلامية بحلاقة لحاهم تماما حتى لا يمكن تمييزهم عن غيرهم من الشباب ، وهذا فى حد ذاته يساعدهم على اتمام عملياتهم بنجاح وسط ذهول الناس التى غالبا ما تقف لترقب مشهدا لن يتاح لأحدهم أن يراه مرة ثانية .. !

حـــول الضبـاط التفـت مجمـــوعـة من المجندين وفى أيديهم الأسلحة الآلية أيضا وكانوا فى وضع الاستعداد .

وعندمـا اقتـربنا أكثر من نقطة التـفتـيش وجدت ثلاثة من الجنود بأسلحتـهم مشرعة ناحية الترعة التى يقع الطريق على جسرها واستدار ثلاثة آخرون ناحية مزارع القصب القريبة من الطريق .

أما الطريق الأسفلتى القاهرة – أسوان – فقد صنعت فيه مطبات هائلة تجعل أى سيارة تتأرجح وتهـتـز وكنت أسـمع من سيارتى صوت احتكاك اجزائها العنيف عند عـبورها هذا المطـب وسمـعت أحد السـائقين الذين عبـروا المطب بصعوبة يصيح :

– الله يخرب بيوتكم ..

وقالها بطريقة تنم عن حقد دفين فقد أوشكت سيارته الضخمة المحملة بحمولة هائلة أن تنقلب على أحد جانبيها من فرط علو المطب ، فضلا عن ارتطامه بالأجزاء السفلية للسيارة .

وقد شاهدت هذا الشعور بالغيظ نفسه فى عينى عبدالرشيد عند عبوره هذا المطب . نزلت من السيارة وصافحت الضباط ، كانوا فى سن الشباب لا يتعدى الأكبر منهم سن الثالثة أو الخامسة والعشرين ، سألتهم عن أحوالهم . أخبرنى واحد منهم أنه كان يعمل فى الاسكندرية والثانى أخبرنى أنه قادم من بورسعيد ، وكانت نظراتهم قاسية وفيـها صرامة . بالقرب منهم توجد غرفة مخصصة فى الأصل لرجال المرور ينامون فيها ، شاهـدت فيها أربعة من الشباب من أهل المدينة وقد جلسوا القرفصاء ولاحظت أنهم يرتدون الملابس البلدية ذات الفتحات المستديرة عند الرقبة والكم الواسع وكانوا متجاورين ، وعندما دققت النظر

اكتشفت أنهم مربوطون بعضهم ببعض بواسطة الاكمام الواسعة للجلباب الذى يرتديه كل منهم .

بعضهم كان وجهه متورما وفيه كدمات وبعضهم لم يتمكن من الجلوس فأسند ظهره للحائط ورفع وجهه لأعلى وقد تمزقت ملابسه تماما وكانت بالية وقذرة .

سألت الضباط عنهم .

قال البورسعيدى :

- حالات اشتباه .

وقال السكندرى : إنه بعد انتهاء نوبة الخدمة وهى تمتد لست ساعات لابد من إحضار أكثر من عشرين أو ثلاثين فردا من شباب المدينة من أجل استجوابهم أو الاشتباه فى أن أحدهم ربما ينتمى إلى الجماعات .

كان البورسعيدى يتحدث فى جهاز لاسلكى يحمله فى يده وهو يخاطبه قائلا :

- كله تمام . ولا ملحوظات ..

وأضاف السكندرى أنه كلما اكتمل عددهم ستة أو سبعة تأتى سيارة لنقلهم إلى مقر المنطقة وهناك يتم استجوابهم وفى حالة عدم حضور سيارة يقوم بالاستيلاء على أى سيارة لتوصيلهم إلى مقر المنطقة .

وكان الضابط يتحدث بضيق ومرارة وفى النهاية ابتسم وأطلق تنهيدة هائلة قائلا :

- متى نرجع لبلادنا ؟!

★★★

مبنى المنطقة يقع فى ناصية مربع يحتل مجلس المدينة ثلاثة أرباعه ويحيط بالمربع من جميع جهاته شوارع ، كل المنافذ التى تؤدى إلى مجلس

المدينة وضعت فيها السدادات لمنع مرور السيارات والأفراد إلا بعد التفتيش الدقيق .

فتح واحد من الجنود الواقفين بالسلاح احدى السدادات بعد أن رفع جندى آخر يده بالتحية العسكرية باهمال والبندقية معلقة فى كتفه . وكان زميله يأكل خيارة بشراهة ، وكانت ملابسهم قذرة ورثة وبدون أغطية رأس .

دخلنا فى الشارع المؤدى إلى باب مقر المنطقة ..

أعلى مبنى مجلس المدينة انتشر الجنود بملابسهم السوداء فى شرفات الطابق العلوى والبنادق الآلية مستندة على الشرفات .

بالقرب من باب المنطقة أقيمت أكشاك خرسانية لها فتحات على ارتفاع متر ونصف وداخلها يقف جندى تخرج فوهة بندقيته من فتحة فى الأكشاك الخرسانية .

فى الشارع انتشر عدد كبير من المخبرين بملابسهم المدنية والبنادق الآلية فى أيديهم وبعضهم يرتدى ـ تى شيرت وبنطلون جينز ـ بطبيعة الحال لايتناسب مع هيئتهم فقد أطلق بعضهم شواربه بطريقة بدائية وترك بعضهم لحاهم .

رفع أحدهم يده بالتحية على طريقة «لصوص القاهرة» وتقدم منى وصافحنى وقال :

ـ سيادتك مش عارفنى ؟

وكان له شارب رفيع تدلت أطرافه بجوار فمه .. فى حوالى الخامسة والثلاثين من عمره .. وعندما نظرت إليه خيل إلىّ أن هذا الشكل ليس غريبا عنى وأننى رأيته قبل ذلك فى مكان لم أتذكره وظروف لا أتذكرها أيضا .. وقلت له :

مش متذكر .

قال :

ـ أنا عشم الله ياباشا .

ولم يكن الاسم أيضا جديدا علىّ فقد سمعته قبل ذلك .. فأنقذنى هو واقترب منى أكثر وقال :

ـ أنا عشم الله بتاع البطيخ فى المهندسين .

وفجأة تذكرته وتذكرت الواقعة بالتفصيل .

فقد كنت أعمل فى مباحث الجيزة .. وكان عشم الله يبيع البطيخ على ناصية شارع من شوارعها الرئيسية .. وفى الليل ينام بجوار البطيخ وكان يقضى حاجته فى أرض مهجورة بالقرب من المكان الذى يبيع فيه وتصادف أن كان ينظر من نافذة مبنى مقابل الأرض المهجورة رجل .

وبعد أن رأى الرجل عشم الله وهو يقضى حاجته ذهب ليشترى منه البطيخ .

وبعد أن دفع ثمن مااشتراه طلب من عشم الله أن يحمل إليه ما اشتراه فى شقته .. وحمل عشم الله البطيخ وصعد به إلى الشقة .. ولم يشأ الرجل أن يطلب من عشم الله شيئا فى المرة الأولى .. ولكنه طلب منه أن يحضر إليه ثلاث بطيخات من الحجم الكبير فى الساعة العاشرة مساء .

وبالفعل حمل عشم الله البطيخات الثلاث وذهب إليه فى الميعاد فوجده عاريا تماما ، وشرع بمجرد رؤيته فى مداعبته .. ولم يتحمل عشم الله فحمل فازة ضخمة وقذفه بها وصرخ الرجل وهرب عشم الله .. وظل يجرى حتى دخل قسم الشرطة وهو يلهث وقرر لنا أنه قتل الرجل فى شقته وأنه لا يعرف اسمه أو أى شىء عنه .. وكان عشم الله خائفا ويرتعش ، هدأنا من روعه ، واصطحبناه إلى الشقة .

طرقنا الباب وفتح لنا الرجل الذى قال عشم الله : إنه قتله وكان لايزال عاريا

تماما وليس فيه خدش واحد .. وتبين لنا أن الرجل يشغل منصبا مهما فاكتفينا بسؤاله شفاهة عما يدعيه عشم الله فأنكر تماما معرفته بالمذكور .

وسأله زميلى عن سبب وجوده ، عاريا هكذا فى شقته .

قال باستغراب :

ـ والله بيتى وأنا حر فيه .

ولمحنا امرأة فى الشقة .. ومع ذلك تركناه واطلقنا سراح عشم الله .

وسألته :

ـ أنت بتعمل إيه هنا ياعشم الله ؟

قال :

ـ فى الشرطة يابيه .. أنا مخبر .

ثم انضم لجنود الحراسة السائرين خلفى وكانت فى يده بندقية آلية .

★★★

على باب المنطقة شاهدت أوراقا بيضاء ملتصقة بجواره وعليها صور باهتة.. اقتربت من الأوراق ورأيت صورا لأشخاص وتحت الصور كتابة بقلم جاف لا يمكن قراءتها .. وعرفت من أحد الموجودين على الباب للحراسة أن الصور تخص المتطرفين المطلوب القبض عليهم وعدد الصور كان أربع ! .

كانت إحدى الصور لواحد ذاع صيته فى المنطقة على أنه أمير للجماعات الإسلامية وارتكب عددا من حوادث القتل راح ضحيتها رجال شرطة وخفراء نظاميون .

وتعجبت من وضع الصور فى هذا المكان الذى لا يدخله أحد سوى رجال الشرطة وضباطها ! .

والحق أننى لو صادفنى أى واحد من هؤلاء المعلقة صورهم فى أى مكان لما

أمكن لى التعرف عليه وذلك لأن الصور أخذت لهم منذ فترة طويلة عند اعتقالهم فى مطلع الثمانينيات .

وصعدت لأعلى السلم .

عند بسطة السلم وقف جندى يرتدى الملابس العسكرية السوداء ويحمل فى يده بندقية آلية .

وعندما صعدت للدور الأول وجدت عددا من الجنود يقفون فى حالة تأهب وفى أيديهم البنادق الآلية وكانوا يقفون أمام باب مغلق .

سألت أحدهم عن مكتب السيد اللواء فأشار واحد منهم بإهمال للدور العلوى .. وعند الباب وجدت اثنين يرتدون الملابس البلدية - زى أهالى البلد - ويجلسون متقابلين وأمامهم صندوق وضعت فوقه أرغفة ساخنة وطبق كبير فيه فول وبصل أخضر وكانوا يأكلون .

عندما شاهدانى همّا بالوقوف .. ولكننى أشرت إليهما بالجلوس واحترام الأكل ودخلت إلى صالة كبيرة يمتد فيها أسلاك على الأرض وعدد من الأبواب المغلقة .. وسمعت صوت جرس يرن يشبه جرس عيادات الأطباء .. نهض واحد من الجالسين واقفا وسألته عن مكتب اللواء نائب المدير .. فأشار إلى الباب الذى انطلق من أعلاه الجرس وقال :

- الباب ده .

وطرقت الباب ودخلت ..

★★★

كان سيادة اللواء يرتدى - ترينج - كمدربى الملاعب ، وكان مسترخيا على - كنبة - وأمامه طبق فيه ثلاث تفاحات عظام الحجم لونهم أحمر فاقع والرابعة كانت فى يده وقد قضم منها عدة مرات ...

وما أن رآنى حتى وضعها فى الطبق .. ونهض واقفا .

قدمت إليه نفسى ..

نظر نحوى نظرة فيها لوم وقال :

ـ كنت فين .

وبالطبع لم يكن عندى ما أقوله.

جلست .. ورأيت جهاز تليفزيون فى مواجهة المكتب موضوع على منضدة عالية يذيع برنامجا للأطفال بالصور المتحركة .. وبجوار كرسيه منضدة منخفضة عليها جهاز لاسلكى يصيح من آن لآخر :

ـ ألو عمليات .. واحد . اتنين . تلاتة . تجارب ، القطاع الشمالى موعد تغيير الخدمة .. مدرعة بنى وردية تنادى .. ابدأ الإشارة . المدرعة عايزة زيت .. انتظر لحين مخاطبة قاف واحد . المركز ابدأ .. المرتبات فى الطريق .. قاف اتنين فى الطريق .. التعيين وصل .

رفع السيد اللواء جهازا لاسلكيا صغيرا كان بجوار طبق التفاح وضغط عليه وقربه من فمه وقال :

ـ قاف واحد ينادى .

وسكتت كل الأصوات التى كانت تنبعث من جهاز اللاسلكى الكبير بجوار المكتب واستطرد سيادته :

ـ الاتصالات اللاسلكية عند الضرورة .. أو عند الابلاغ عند النداء ..

وجاء صوت من الجهاز نفسه يقول :

ـ علم ياباشا .

ووضع الجهاز بجواره وقال :

ـ أهلا وسهلا . شرفت القطاع .

وضغط على جرس بجواره كان فى الحائط وبعد لحظة فتح الباب وظهر واحد من الموجودين فى الخارج وكان لايزال يمضغ الطعام وفمه ممتلىء وقال له سيادة اللواء:

- شوف البيه يشرب إيه .

والحق أن نفسى تاقت إلى تفاحة فقد كان إحمرارها ناصعا ويبدو أنها احضرت خصيصا من موطنها الأصلى الى هذا الطبق ، وبدت لى التفاحة بالغة الحجم وخيل إلىّ أننى امضغ قطعة منها ورائحتها اللذيذة تملأ أنفى . ولكنه مع ذلك تجاهلنى تماما . وكان هذا استهلالا سيئا للمقابلة الأولى . وضمرت فى نفسى أن أكلف «أبو بخلول» أن يشترى لى تفاحا من هذا النوع مهما كان السعر كنت أريده فى تلك اللحظة بالذات .

وحاصرنى العسكرى الواقف وقد فرغ من ابتلاع ما بفمه بنظراته .. وكان لابد من التخلص من حصاره وقلت :

- شاى .

والحق أننى سئمت شرب الشاى منذ وصولى إلى هنا إلى حد كبير فقد كان الشاى هنا يطبخ طبخا . فلونه أسود قاتم ومهما أضيف إليه من سكر فيظل طعمه أقرب إلى العلقم .

وبعد لحظات كان كوب الشاى أمامى .. وكأنه كان قد أعده وجهزه وفوضت أمرى لله، ورشفت رشفة وكدت أصرخ !

لم يكن لونه مثل لون الشاى ولكنه كان فى لون أقرب إلى الأصفر القاتم .

وعندما لاحظ السيد اللواء امتعاضى .. سألنى عن الأمر فقلت :

- ابدا .. الشاى طعمه متغير .

ونظر ناحية الكوب وضغط الجرس .. وعندما جاء العسكرى سأله :

- إيه ده ياعوض ؟

انحنى عوض على كوب الشاى وحمله بين أصابعه ونظر فيه كأنه يراه للمرة الأولى - مع أنه هو الذى احضره لى - وقال :

- أنا نسيت وعملت زنزبيل .

وسألته عن الاسم فقال :

- زنزبيل - زنزبيل يابيه !

ولم أكن قد سمعت عن هذا المشروب ولاأعرف من الذى وضعه على قائمة المشروبات التى تقدم لزوار المنطقة .. وكان طعمه أقرب بكثير إلى مذاق الشطة . فيما بعد أخبرنى «أبو بخلول» أن هذا المشروب تنصح الدايات بشربه للنساء اللائى أوشكن على الوضع لأجل أن يقوم بعملية «تسخين الطلق» .

قال سيادة اللواء لعوض قبل أن يخرج :

- طيب انزل هات عصير قصب .

قال عوض وهو يلتفت للواء :

- واحد بس ؟

وقال اللواء :

- اتنين

وأضاف سيادة اللواء بعد انصراف عوض :

- عصير القصب هنا رائع .. لأنه من الغيط للمعصرة رأسا .. لكن عندنا فى مصر - يقصد القاهرة - ياخد أسبوع فيختمر ويصبح طعمه متغير .. وهو مفيد للبول والكلى .

ومد يده وأمسك التفاحة التى يقضم منها وأطبق على جزء منها بفكيه وأخرجها وقد ضاع تماما جزء كبير منها .. وكنت أنظر اليه واجتاحتنى رغبة فى الهجوم على الطبق واغتصاب التفاحة ولكننى كتمت رغبتى .

وكانت آثار «الزنزبيل» لاتزال تشوى جوفى !

وقلت لسيادته :

- معلوم .

واستطرد سيادته قائلا :

- وآه لو شربت المزهرة .

ولم أعرف ماهذه المزهرة وسألته عنها فقال :

- المزهرة دى . محلول العصير المطبوخ قبل أن يتحول إلى عسل .

وإن شاء الله لما نخرج فى العمليات نشرب منه وتجربه .

وسمعت نقرا علي الباب وسرعان مافتح .. ودخل منه ضابط طويل وأبيض يرتدى قميصا نص كم من النوع المشجر ويلف حول معصمه سلسلة ذهبية وفى رقبته سلسلة أيضا وفى يده اليمنى بندقية آلية .. وكان صدره مفتوحا ويبدو منه شعره الأسود الغزير وخيل أنه قادم لتوه من مجلس نساء ! .

ووقف أمام السيد اللواء وأدى التحية العسكرية وقال :

- تمام السياحة ياباشا .

وقال اللواء :

- اجلس ياحسن .. عملت إيه ؟

ونظر حسن نحوى .. وتدارك اللواء الأمر وأشار إلىّ وقال :

- العقيد حمدى .. المأمور الجديد .

واقترب منى حسن وعانقنى ونحن جالسين وملأت أنفى رائحة «البارفان» الذى ملأ به وجهه وصدره كان من النوع الفخم .

وأشار سيادة اللواء إلى حسن وقال :

- العقيد حسن .. مشرف السياحة .

وخيل إلىّ أننى أجلس فى حضرة «سلفيستر ستالونى» أو عمر الشريف غير أن حسن كان بدون شارب ولكنى رأيته وفى يده البندقية أقرب إلى «أرنولد شواريزنجر» ، ونظر إليه اللواء وقال :

ـ خلاص السياح مشوا ياحسن ؟

وعرفت أنه تم إخطار المنطقة بإشارة تليفونية بأن السائح «أوريان ميشو» والسائحة «نادين هيمو» سيتحركان بالدراجات من الفندق فى عاصمة المديرية لزيارة معصرة النبيذ الأثرية فى غرب المركز الذى تقع فيه المنطقة وأحيلت الإشارة إلى العقيد حسن مشرف السياحة .. ونظرا للخوف الشديد على حياة السياح فقد قام العقيد حسن بتجهيز ثلاث سيارات من سيارات الشرطة ، وكل سيارة فيها ستة من المجندين بأسلحتهم الآلية ، تسير واحدة خلف ركاب السياح والثانية أمامهما والثالثة يستقلها السيد العقيد حسن وتسير فى المؤخرة .

وقال العقيد حسن عند وصوله للفندق الذى يقيم فيه السياح فوجىء بأنهما تزوجا فى القاهرة منذ يومين فقط وأنهما سيقضيان شهر العسل متنقلين على دراجتيهما حتى يصلا إلى أسوان . وكانت المسافة التى يقطعانها من الفندق حتى مكان الآثار لاتقل بأى حال من الأحوال عن خمسين كيلو مترا ، منها عشرون كيلو مترا بين حقول القصب فى الطرق الزراعية ..

وقال العقيد حسن : إنه انتظر خروج باقى السائحين من الفندق ولكنه علم من ادارة الفندق أنه لايوجد أحد من السياح سوى السائح الرومانى وزوجته .. وأنهما ركبا دراجتيهما ، وتحركا وسط هذا الموكب الأمنى الفخم ، وأنهما أبديا سعادة بالغة النظير .

واعترف العقيد حسن أمام سيادة اللواء أن الزوجة الشابة كانت تختلس النظرات إليه وسار الزوجان بدراجتيهما وسيارة أمامهما وسيارتان خلفهما ،

وسيارة لاسلكى تسير أمام الجميع ، وعندما فرغا من زيارة المنطقة كانا لايصدقان أن هذا الموكب من أجلهما ، وأعتقد الزوج أن الذى يحدث هو نوع من التعبير عن حفاوة الحكومة المصرية بالزواج الذى تم على ترابها .

وقال الزوج أنه يشعر الآن أنه أكثر أهمية من الرئيس الأمريكى وزوجته .

وقال حسن : إن الزوجة كانت من آن لآخر تلتقط الصور التذكارية للموكب أثناء الاستراحات وأثناء التحرك .. وطلبت من أحد خفراء الآثار الذى يحسن الحديث بالإنجليزية أن يشكر الحكومة المصرية لحسن إعدادها لحفل الزفاف ! .

وكان السيد اللواء يضحك وكذلك أنا ! .

وقال اللواء للعقيد حسن :

- بتتكلم جد ياحسن ؟!

فأقسم العقيد بالقرآن المجيد بأن كل الذى قاله صدق .

وجاء عوض يحمل صينية عليهما ثلاثة أكواب من عصير القصب ومد اللواء يده وتناول واحدة وتناولت أنا الثانية ، وتناول العقيد حسن الثالثة . ورأيت الصينية وأغمضت عينى ورفعت كوب العصير فلم أنزله عن فمى إلاّ فارغا وتحاشيت مرة ثانية أن أنظر إلى الصينية .. فقد كانت بالغة القذارة ! .

تم التحميل من مكتبة

٢٩ أغسطس

دخل علىّ فى مكتبى ضابط منوب المركز ومعه أوراق المحضر الذى كان قد أرسله للنيابة العامة ، ومعه والد الفتاة التى عثروا على جثتها غريقة فى الساقية المهجورة . وعند عرض المحضر علىّ قرأت :

« .. فتح المحضر يوم ٨/٢٦ الساعة ٦ م بسراى النيابة العامة بمعرفتنا نحن مصطفى أحمد وكيل النيابة ومجدى اسحق سكرتير النيابة .

اليوم أثناء وجودنا بسراى النيابة لمباشرة أعمال النيابة انتدبنا بمعرفة السيد مدير النيابة للتحقيق والتصرف فى المحضر رقم ٣٣٣٣ إدارى المركز .

ونظرا لعدم وجود سكرتير للتحقيق فقد استدعينا الاستاذ مجدى اسحق سكرتيرا للتحقيق من اجازته للقيام بأعمال سكرتير التحقيق .

وبمطالعة المحضر تبين أنه محرر بتاريخ ٨/١٥ بمعرفة النقيب أحمد محمد الذى يتضمن بلاغ المواطن فنجرى اسكندر بالعثور على جثة نجلته التى أبلغ بتغيبها بتاريخ ٨/١٥ وأنه عثر على جثتها فى الساقية المهجورة المجاورة لسكنه .

- وأعيد فتح المحضر فى تاريخه أثبت فيه معاينته لمكان الجثة وتعيين الحراسة اللازمة عليها ، وبسؤال والد المتوفاة قرر أنه سمع من بعض النسوة انبعاث رائحة عفونة فتوجه على أثر ذلك إلى البئر مصدر الرائحة فوجد جثة نجلته ملقاة داخل الساقية المهجورة المجاورة لمنزله ولا يشتبه فى وفاتها جنائيا .

وحيث أنه قد قام طبيب أول وحدة بنى شنبر بإجراء الكشف الطبى على جثة المتوفاة ظاهريا فلم يجزم بسبب الوفاة .

فقد أشرنا على المحضر فى تاريخه بما يفيد النظر والارفاق .

وأقفل المحضر على ذلك بعد إثبات ماتقدم وقررنا الآتى :

أولا : الانتقال لمكان الحادث لاجراء المعاينة ومناظرة جثة المتوفاة ومعنا الزميل مدير النيابة .

ثانيا : يخطر مركز الشرطة لتأمين مكان الحادث والقوة اللازمة وتعيين الحراسة المناسبة .

وكيل النيابة

وأعيد فتح المحضر فى تاريخه الساعة ١٠٣٠ بسراى النيابة بالهيئة السابقة حيث تبين حضور أحمد حسنين المنجد وفنجرى اسكندر مقار خارج غرفة التحقيق .. فدعونا الأول منهما داخلها وشرعنا فى سؤاله بالآتى أجاب :

ـ حلف اليمين .

اسمى أحمد حسنين المنجد ، واسم الشهرة أبو فروة سنى ٤٥ فلاح ببنى شنبر .

س : ما معلوماتك عن الواقعة محل التحقيق ؟

جـ : اللى حصل أن من يوم السبت اللى فات رحت الغيط من الضهر لقيت الناس ملمومة فى الحتة . فأنا سألت : ايه الحكاية ؟ فأبوها قال لى إن بنته عزيزة وشهرتها حداية مش قاعدة ومش لاقيينها . فأنا رحت معاهم وقعدنا ندور عليها فى زراعات القصب والموز فى الجزيرة كلها لكن ملقيناش ليها أثر .. والكلام ده لغاية العشا وبعد كده رجعنا علي بيوتنا .. وكل يوم ندور يمكن نلاقيها لغاية عشية أنا رجعت من الغيط ورحت على البلد وسمعت أن البنت عزيزة لقيوها ميتة فى الساقية بتاعتنا اللى جنب بيت أبوها واللى جار بيتنا .

فأنا رجعت علشان أقوم بالواجب لقيت أبوها بلغ ، والحكومة جات ، وطلعت الجثة . وكانت ناس كتيرة ، وأنا كنت واقف جار الناس وده كل اللى حصل .

س : متى وأين حدث ذلك ؟

جـ : الكلام ده حصل السبت اللى فات ؛ وكانت عزيزة متغيبة عن البيت ، وعشية الجمعة لقيوها فى البير قبل المغرب بشوية .

س : ماصلتك بوالد المتوفاة ؟

جـ : هو جارى فى البيت .. وهو من دين وأنا من دين .

س : ومتى علمت تحديدا بتغيب المدعوة عزيزة ؟

جـ : أنا عرفت يوم السبت اللى فات .. زى النهاردة .

س : من الذى أبلغك ؟

جـ : أبوها .

س : مامضمون ما أبلغك به تحديدا ؟

جـ : هو قال إن بنته عزيزة متغيبة من الساعة أتناشر الضهر وملقيهاش . وأنا والأهالى والجيران قعدنا ندور عليها .

س : هل اعتادت المتوفاة عزيزة التغيب عن منزلها .

جـ : لع .. وهى دايما قاعدة فى البيت وأمها وأبوها مش سايبنها .

س : ما الذى دعا أهلية المتوفاة للبحث عنها رغم تغيبها الذى لم يمض عليه أكثر من ساعتين .

جـ : علشان البنت مش طبيعية ومخها تعبان وأبوها وأمها حطينها تحت عينهم ومش عم يسيبوها تمشى بعيد عنهم علشان إحنا فى بلد أرياف ويمكن تروح هنا ولاهنا ويحصل ليها حاجة .

س : ما الذى فعله أهلية المتوفاة عقب تغيبها ؟

جـ : هما قعدوا يدوروا عليها وأنا معاهم كل يوم ولكن ملقيوهاش

س : أين قمتم بالبحث عنها تحديدا ؟

جـ : احنا كنا بندور عليها فى زراعات الموز والقصب وبنسأل الجيران والناس يمكن يكون فيه حد شافها .. وكمان نادينا بالميكرفون فى البلاد اللى حوالينا .. لكن محدش عرف ليها أثر .

س : متى رأيت المتوفاة آخر مرة ؟

جـ: أنا شفتها قبل ماتغيب بيومين كانت قاعدة مع أمها .

س : ماهى الحالة التى رأيتها عليها آنذاك ؟

جـ : كانت هادية .. لكن قبل كده كانت تيجى لها حالة غير طبيعية .

س : ما هى تلك الحالة ؟

جـ : هى كانت ساعات نشوفها تقوم وتأخذ أى حاجة فى وشها وترميها .. وساعات كانت تشتم أبوها .

س : منذ متى وتلك الحالة تلازمها .

جـ : من مدة تلاتشهر يدوب .

س : ماسبب إصابتها بتلك الحالة ؟

جـ : هى لما خالتها ماتت فى حادثة ومعاها ولدها ساويرس والبنت زعلت عليهم وحالها انقلب . وكانت تعمل حاجات مش طبيعية .

س : متى توفت خالتها وابن خالتها ؟

جـ : من حوالى تلاتشهر .

س : ماهى طبيعة العلاقة بين المتوفية وخالتها وابن خالتها ؟

جـ : أصل خالتها كانت بتعزها قوى . ولما ماتت زعلت عليها .

س : ألم يحاول والدها علاجها ؟

جـ : هو لف بيها على الحكما والرهبان لكن هى زى ماهى .

س : ماهو سلوك المتوفية قبل وبعد إصابتها بالحالة التى ذكرتها ؟

جـ : الحق هى كانت بنت مؤدبة وماكانش فيها عيب واحد غير الحالة دى كانت بتجيها .

س : هل كانت ثمة خلافات بينها وبين والديها أو أى واحد من أهليتها ؟

جـ : معرفش أصل الكدب خيبة .

س : متى علمت بذلك ؟

جـ : عرفت عشية قبل المغرب بشوية وساعتها كنت فى بنى شنبر .

س : من الذى أبلغك بذلك ؟

جـ : الناس قالت إن عزيزة اللى كانت غايبة لقيوها ميتة فى بير الساقية جنب بيت أبوها فأنا رحت معاهم .

س : ما الذى فعلته عقب علمك بذلك ؟

جـ : الناس قالت إن عزيزة غايبة لقيوها ميتة فى بير الساقية جنب بيت أبوها ، فأنا رحت معاهم .

س : ما الذى فعلته عقب علمك بذلك ؟

جـ : أنا رحت مع الناس على بيت أبوها ولقيت ناس كتير ملمومة هناك واستنينا لما الحكومة وصلت وطلعت جثة الغرقانة ومعاهم الأهالى .

س : هل كان معك أحد ؟

جـ : البلد كلها كانت موجودة .

س : من الذى أخرج جثة المتوفاة ؟

جـ : أنا لما رحت هناك كانت الناس ملمومة وزحمة والحكومة هى اللى طلعت الجثة .

س : هل شاهدت الجثة عقب إخراجها من الساقية ؟

جـ : إحنا كنا بنوصل لمبة كهرباء ومعاى شبان طلبة والمكان مكنش فيه نور وأنا مشفتش حاجة .

س : ماهى حالة المكان الذى وجدت فيه الجثة ؟

جـ : البير والفتحة اللى جنبها مغطيين بالبوص وقش القصب من مدة طويلة .

س : هل الساقية مستعملة ؟

جـ : لع دى مهجورة .

س : هل اعتادت المتوفاة الذهاب إلى هذا المكان ؟

جـ : اصل هى قريبة من الحتة وعارفاها كويس .

س : مع من تقيم المتوفاة قبل وفاتها .

جـ : قاعدة مع أبيها وأمها وأخيها فى البيت اللى جنب الساقية واختها فى مصر عند اخوالها .

س : ماتعليلك للعثور على جثة عزيزة فنجرى داخل البئر ؟

جـ : معرفش . دا قضاء وقدر .

س : هل لديك أقوال أخرى .

جـ : لع ..

تمت أقواله وتوقع منه .

توقيع .....

وبمناسبة وجود والد المتوفاة خارج غرفة التحقيق دعوناه داخلها وشرعنا فى سؤاله تفصيلا بالآتى أجاب :

ـ اسمى فنجرى اسكندر مقار سنى ٦٣ عامل أجرى مولود ومقيم فى بنى شنبر .

حلف اليمين

س : ماهى معلوماتك عن الواقعة محل التحقيق ؟

جـ : اللى حصل إن بنتى عزيزة ليها تلات شهور وهى تعبانة فى مخها .. فأنا لفيت بيها على الكنايس والكهان لكن زى ماهى وفضلت تعبانة .. ويوم السبت اللى فات زى النهاردة غابت عن البيت من الصبح فأنا طلعت أدور عليها فى موقف العربيات وفى البحر الكبير وفى البلد كلها ومعايا ناس كتير من البلد كانت بتدور معايا .

ولما ملقيناهاش رحت لغت فى المركز وعملت محضر بغيابها وفى المركز بعد ما سألونى قالولى روح و! تلاقى بنتك ابقى تعالى بلغ وقولنا وبعد كده فضلنا ندور بالمكروفونات لغاية عشية .. كان عندنا نسوان من البلد جايين يواسونا ويقوموا بالواجب فى غياب بنتنا فشموا ريحة عفونة جاية من الساقية المهجورة قبلى البيت فالنسوان ظاطت .. وأنا كنت راقد جنب الشجرة قريب من البيت . فلما سمعت زعاق الحريم قمت ولقيت لمة ناس حوالين الساقية فأنا رحت وسألتهم فقالوا لى بنتك عزيزة فى الساقية ميتة فأنا رحت المركز وبلغت .

س : متى وأين حدث ذلك ؟

جـ : الكلام ده حصل من يوم السبت اللى فات زى النهاردة فى بدنا بنى شنبر.

س : منذ متى تغيبت ابنتك ؟

جـ : من حوالى أسبوع .

س : من الذى أبلغك بغيابها ؟

جـ : هى قاعدة معاى فى البيت وأمها قالت لى بنتك خرجت من الصبح وأنها صحيت من النوم وملقيتهاش .

س : هل اعتادت ابنتك الخروج من المنزل دون استئذان وكذا والدتها ؟

وما هى الحالة التى كانت عليها ابنتك قبل غيابها ؟

جـ : هى ليها تلات شهور وهى تعبانة .. وكانت تقعد لوحدها تبكى فى حالها وتعيط من غير سبب .

س : ألم تسألها عن سبب ذلك ؟

جـ : هى كانت تقول إنها تعبانة .

س : ماهى آخر مرة شاهدت فيها نجلتك قبل غيابها ؟

جـ : شفتها آخر مرة يوم الجمعة فى الليل قبل ماتنام .

س : ماالذى فعلته عقب اكتشافك تغيب نجلتك عزيزة؟

جـ : أنا قعدت أدور عليها ومعاى ناس تانى من البلد وقعدنا ننادى عليها بالميكروفونات وفى البحر ولما ملقيناهاش رجعت المركز وبلغت وعملت محضر بغيابها .

س : أين قمت تحديدا بالبحث عنها ؟ .

جـ : أنا دورت عليها فى زراعات القصب فى كل المطارح وبلاد بعيدة رحناها لكن ملقيناهاش . الكلام ده بعدما بلغت بغيابها وقعدت أدور عليها كل يوم ومعاى ناس كتيرة من البلد .

س : قررت لنا سلفا أن نجلتك كانت تعانى من حالة مرضية ألم تحاول علاجها أو عرضها على أحد الاطباء المختصين لمعرفة سبب الحالة ؟

جـ : لع .

س : لماذا ؟

جـ : هى مكنتشى ترضى أن أوديها لدكتور .. وكانت تقول لى أنا عيانة فى مخى .. لكن أنا وديتها الكنيسة عند الرهبان فى الدير المحرق والانبا شنودة فى سوهاج والأقصر والعجايبى فى أبو قرقاص . ورحت بيها البهنسا عند السبع بنات ، لكن هى زى ماهى لكن يابيه كانت ترفض وكنت أوديها بالعافية .

س : ماسبب اصابة ابنتك بتلك الحالة التى كانت فيها ؟

جـ : هى كانت بتقول إنها تعبانة فى مخها .. ومن ساعة خالتها ماماتت .. وهى من ساعتها والحالة دى عندها .

س : ألم تتغيب نجلتك خلال تلك المدة ؟

جـ : هى كانت بتطلع وتدخل عادى حوالين البيت وتقعد عند خشم الباب .. لكن أبدا ماكنتشى تغيب .

س : ألم تكن ثمة خلافات بينك وبين والدتها ؟ .

جـ : لع .

س : ما علاقتها بجيرانها ؟

جـ : هى علاقتها بالناس كويسة وكانت تاجى بنت أحمد أبو حسنين المنجد تقعد معاها وهى مكنتشى تبعد عن خشم الباب .

س : متى علمت بالعثور على جثة نجلتك عزيزة وكيف ؟

جـ : عشية قبل المغرب والحريم كانوا جايين يواسونا وقالوا إن فيه ريحة عفونة جاية من الساقية وبعدين عرفت أن بنتى كانت فى الساقية غرقانة والحريم زعقت والزيطة زاطت .

س : من كان معك حال توجهك إلى مصدر صراخ النسوة ؟

جـ : كنت لوحدى .. وكان فيه ناس كتير لما سمعوا الزعاق رمحوا على البير فى الساقية .

س : ماهى الحالة التى شاهدت عليها جثة نجلتك حال توجهك الى بئر الساقية ؟ .

جـ : أنا مبصيتشى جوه البير .. وأول ما الناس زاطت وقالت بنتك فى الساقية أنا جريت على المركز وبلغت .

س : ما الذى أبلغت به تحديدا

جـ : أنا قلت لهم بنتى اللى كنت بلغت عنها غياب قبل كده لقيوها غرقانة فى البير واللى لقيها ناس من بنى شنبر معرفهمش . سمعوا صراخ

النسوان . وراحوا كشفوا البير من العفش وشافوا بنتى وهى عايمة على وش المية .

س : ماذا حدث بعد إبلاغك الشرطة ؟ .

جـ : الحكومة جات معاى ورحنا على البير لكن مشفتش حد وهما يطلعوا الجثة ولغاية دلوقتى ما شفتهاش .

س : ألم تشاهد استخراج الجثة ؟

جـ : لع .

س : من الذى قام بإخراجها ؟

جـ : الحكومة ومعاها الأهالى .

س : كيف تم اخراجها ؟

جـ : طلعوها بشوال وحبال ليف ، واللى نزل البير وطلعها بالحبل قدام الحكومة واحد اسمه جرجس موريس فلتس من بنى شنبر والناس اتلمت وطلعوها وحطوها جنب الساقية والبوص .

س : قررت لنا سلفا أنك لم تشاهد واقعة استخراج الجثة ثم عدت ووصفت لنا كيفية استخراجها – فما قولك ؟

جـ : ناس كتير حكت قدامى .

س : من الذى أخبرك تحديدا ؟

جـ : ناس كتير .

س : ما صلتك بالمدعو جرجس موريس فلتس . ؟

جـ : بلدياتى من بنى شنبر .

س : هل اعتاد أحد التردد على منزلك فى حضورك أو غيابك ؟

جـ : لع ..

س : هل اعتاد أحد التواجد بمكان الساقية المجاورة لمنزلك ؟

جـ : لع . علشان ده مكان مهجور من خمسة وعشرين سنة .

س : ما تعليلك للعثور على جثة نجلتك داخل البئر ؟

جـ : معرفش .

س : هل تتهم أحدا معينا بالقائها متعمدا داخل البئر ؟

جـ : وأروح من ربنا فين يا بيه .

س : ألم تحاول البحث عن نجلتك فى هذا المكان ؟

جـ : ما دورتش فى المكان ده .

س : ولماذا ؟

جـ : أنا معلمش إنها ممكن تكون فى المكان ده لأنه مهجور ومحدش بيروح هناك واصل .

س : من يقيم معك فى المنزل تحديدا ؟

جـ : أنا والحرمة وبنت بتدرس فى مصر ومكنتشى موجودة والبنت اللى ماتت وولد صغير .

س : هل لديك أقوال أخرى .

جـ : لع ..

تمت أقواله وتوقيع منه ....

وأقفل المحضر بعد إثبات ما تقدم وقررنا الآتى :

أولا : يصرف الحاضرون من سراى النيابة .

ثانيا : يطلب لجلسة باكر المدعو جرجس موريس فلتس .

ثالثا : تستعجل تحريات المباحث عن الواقعة وظروفها .

رابعا : ننتدب الطبيب الشرعى لتقرير الصفة التشريحية لجثة المجنى عليها .

وكيل النيابة .

★ ★ ★

دخل ضابط المباحث وأخبرنى أن سيارة الترحيلات وصلت وفيها عدد ٢٠ فرداً من المقبوض عليهم على الحدود الليبية والمضبوطين بمعرفة السلطات السعودية .

لم أكن أعرف الاجراءات الواجب اتباعها فى تلك الحالات .. !

جاء نائب المأمور وأخبرنى عن وصول سيارة الترحيلات وسألته عن الاجراءات فقال :

– دى حاجة بسيطة . نحطهم فى الحجز ونرسل للعمد ومشايخ الحارات . كل واحد يستلم الناس اللى تبعه .

خرجنا معا من المكتب ووجدنا السيارة وهى عبارة عن لورى مركب عليه صندوق كبير فيه فتحات للتهوية من أعلى وله باب من الخلف وسلم وبجوار السيارة وقف صول الترحيلات وهو يتحدث مع واحد من هؤلاء المقبوض عليهم . وكان الوقت ليلا وسمعت الحوار التالى :

– والله ما معاى صنف المعاملة يا بيه .. !

– طيب خلاص الشنطة ضاعت ..

– إعمل معروف . أحب على رجلك . أنا مطرود من السعودية والكفيل – الله يسامحه فنشنى من غير ما أقبض أجرى .

– أنت ساعة ما أخذناك من ترحيلات الجيزة مكنشى معاك شنط .

– ربنا يخليك . ويخليلك العيال . ويعليك .

– هى كلمة واحدة . أنت مكنشى معاك شنط .

– أحب على رجلك .

وتدخل شخص ثالث فى الحوار بين الصول والشخص المقبوض عليه تبين فيما بعد أنه سائق سيارة الترحيلات . وقال للمقبوض عليه :

– أنت كلامك كتير ...

– اعملوا معروف . أنا بقالى خمسة وعشرين يوم من ساعة ما وصلت مصر . ولا أملك من الدنيا غير الشنطة اللى فيها أغراضى . لكن لما أوصل لأهلى أجيب منهم .

– سيبك منه . ده غلباوى .....

تدخلت أنا ونائب المأمور وأصبحنا بين الشاب المقبوض عليه وسائق السيارة وهو بدرجة صول ورئيس حرس اللورى وهو بدرجة صول أيضا ..

وعند وصولنا سكت الجميع . وشاهدت المقبوض عليهم وقد جلسوا القرفصاء على الأرض .

سألت الشاب :

– إيه الحكاية

لم أكن ارتدى الملابس العسكرية «الميرى» وكنت أرتدى قميصا نص كم وبنطلونا وهو ما جعل الشاب يرتاب فىّ وتدخل نائب المأمور الذى كان يرتدى الملابس الميرى ويضع على كتفه العلامات النظامية وقال للشاب :

– البيه المأمور ... !

وفهم الشاب أنه يتحدث إلى سلطة أعلى من صول الترحيلات وقال :

– يا طويل العمر . كان معاى شنطة والصول ده أخذها منى .....

وكدت أضحك .

وقال نائب المأمور :

– إنت كنت فى السعودية ؟

فقال :

– نعم يا طويل العمر .

ويبدو أن الشاب مازال متأثرا بطريقة السعوديين فى التحدث إلى الحكام هناك .

واستطرد قائلا :

– أيوه .. طلعت عمرة من سنتين . واشتغلت عند واحد عمل لى إقامة وأصبح كفيلى ، لكنه طلع لص ولم يعطنى أسود ولا أبيض ولما اشتكيته فنشنى .

سألته :

– يعنى إيه فنشك ..

فأجاب :

– يعنى فنش . ماليش شغل وقعاد تانى فى السعودية ورحلونى ، وتدخل الصول وقال وهو يمسك كتف الشاب :

– أنا اللى أخذت منك الشنطة والا أنت اللى رهنتها لبتوع الجيزة ؟

وترك الصول كتف الشاب واقترب منى وقال :

– الولد ده يا معالى الباشا كداب . هو كان بايع الشنطة للجماعة بتوع الجيزة وأنا قلت لهم عيب كده .. ده راجل غلبان ومتغرب علشان القرش . وجبت منهم الشنطة .

وسألته :

– أين الشنطة ؟

وصاح الصول وهو يلتفت إلى زميله سائق السيارة الذى انتهز فرصة انشغالى مع الشاب ورفع غطاء موتور السيارة ودفن وجهه عند الموتور :

– هات الشنطة يا عياد .... !

وسمعت صوت ارتطام غطاء الموتور عندما أغلقه عياد وصعد لأعلى السيارة

فى الكابينة وعاد ومعه حقيبة من الجلد كبيرة الحجم مقفولة بقفل . وعندما شاهدها الشاب صاح :

– هى دى .. !

وقلت لنائب المأمور أن يعمل تحقيقا فى الواقعة ويسأل الشاب والصول وسائق السيارة ويحرز الشنطة ويرسل المحضر للنيابة العامة .

وعندما سمع الشاب هذا الكلام صاح قائلا بانفعال :

– يا طويل العمر .. أنا عايز أروح لأهلى .. لسه هـا أروح النيـابة واستنى . ويمكن المسألة تنقلب عليا . أنا عايز أشوف أمى وأبويا ومرتى . وربنا يخلص لى حقى يا شيخ ..

وكان يتكلم بلهجة السعوديين .

وانفعل الصول عندما امسكه نائب المأمور وقال للشاب :

– اشتكيتك لربنا يا بعيد . الله يخرب بيتك ويقطع عيشك زى ما هتقطع عيشى .

وكان يقصد الشاب .

ووجدت الصول ينفلت من نائب المأمور ويرتمى عند قدمى يحاول تقبيلها . وعندما لم أمكنه وقلت :

– استغفر الله .

هرج إلى قدمى نائب المأمور .

وتجمع عدد كبير من الصولات والعساكر والجنود المجندين والضباط والخفراء النظاميين .. وبدأ الصول يستعطف كل الواقفين بطريقة مؤثرة .

أصدرت أمرى لجميع الواقفين بالانصراف .

وسمعت الجالسين على الأرض من المقبوض عليهم يقولون :

– ينصر دينك . يحيا العدل . تحيا حكومة مصر . عاش حسنى مبارك . يحيا المأمور .

وأصدرت أمرى إلى الجميع بالسكوت والتزام الصمت . وطلبت من أحد الضباط اصطحاب الصول والسائق والتحفظ عليهما لحين تقديمهما للمحاكمة وإنهاء أوراق المقبوض عليهم . وطلبت من ضابط المباحث تفتيش السيارة وضبط الأشياء التى من أغراض المقبوض عليهم .

تم التحميل من مكتبتى

١ سبتمبر

وصلت للمركز إشارة من المديرية تدعونى لحضور اجتماع يعقده مدير الأمن الجديد مع مأمورى المراكز والأقسام ورؤساء الإدارات فى ديوان المديرية . وموعد الاجتماع بعد ساعتين .

المديرية تبعد عن المركز بمسيرة ساعة كاملة بالسيارة .

أخذت البندقية الآلية وطلبت من «أبو بخلول» أن يحشو خزينتها بالرصاص ويحشو الخزينة الاحتياط .. وكل خزينة تسع ثلاثين طلقة ..

وضعت خزينة فى البندقية والثانية ربطها «أبو بخلول» فى خزينة البندقية بطريقة معكوسة .. بحيث إذا فرغت الخزينة يمكن بسهولة تركيب الثانية .

★ ★ ★

عندما وصلت لديوان المديرية . عرفت أن الاجتماع فى القاعة الكبرى . توجهت إليها وجدت عددا كبيرا من الضباط بعضهم يرتدى الملابس الرسمية الكاكى والآخر يرتدى ملابس رسمية بيضاء وآخرون يرتدون الملابس المدنية .

سألت ضابط من دفعتى عن هؤلاء الذين يرتدون الملابس الرسمية البيضاء . فلم يكن من المعتاد أن يرتدى الضباط فى الصعيد الملابس البيضاء . فأخبرنى أنهم ضباط الحرس الجامعى . !

الأمر المعتاد أن يرتدى ضباط الصعيد والقوات ملابس كاكية ، أما ضباط القاهرة والجيزة ومدن القناة والاسكندرية يرتدون الملابس البيضاء .

وقيل فى تبرير هذا الوضع أن الملابس الكاكية اللون يمكن أن تتحمل الغبار والتراب الناعم الموجود بكثرة فى الصعيد ... !

تقابلت مع بعض أفراد دفعتى . بعضهم يعمل فى ديوان المديرية . وبعضهم يعمل فى إدارة البحث الجنائى . وكلهم متبرمون من نقلهم إلى الصعيد ، وعندما تحدثنا عرفت أن عددا من الضباط لم يغادروا القاهرة أبدا حتى بلغوا المعاش . وذكروا أسماء بالتحديد لضباط دفعات سابقة على دفعتنا وقالوا : إنهم لم يغادروا القاهرة قط .

وكنت أعرف أن عملية نقل الضباط إلى الصعيد تخضع للقواعد العامة الموضوعة فى قانون هيئة الشرطة . وأن القواعد العامة تطبق على الجميع ولكن أحد الضابط قال بخبث :

– لكل قاعدة استثناءات .. !

وفجأة وجدت أحد الضباط قادما نحوى فاتحا ذراعيه ويصيح :

– حمدى .. حمدى .. الله يخيبك .. أنت جيت هنا إزاى ؟

وفتحت أنا أيضا ذراعى وقلت :

– شوكت ....

وبعد أن فرغنا من العناق العنيف جلسنا نتكلم فى انتظار وصول مدير الأمن .

وشوكت هذا أو العقيد شوكت كان دفعتى وكان مدللا بشكل مبالغ فيه . وفى كل مرة يتعب فيها من الطوابير كان يهدد بالاستقالة من الكلية . وكانت والدته تتصل به تليفونيا أكثر من مرة فى اليوم .

وأصبح من المألوف أن يأتى عسكرى العنبر ويقول :

– تليفون للطالب شوكت .

وكان شوكت يكره الانضباط . وكنا نسميه – أكبر متسيب فى الكلية بعد كبير المعلمين – وكان والده سفيرا لمصر فى دولة أوروبية وكان يصطحب زوجته ويترك الشقة لشوكت يمرح فيها كما يشاء .

وفى أثناء خروجنا من الكلية يوم الخميس يجد أكثر من فتاة فى انتظاره بسيارتها ، وفى أحيان كثيرة كان يعطف علىّ ويطلب من فتاته أن توصلنى بسيارتها لميدان التحرير ، وأنا بعد ذلك أتصرف فى الجزء الباقى من المواصلات .

وكنت دائما أحاول أن أجعله مستقيما . وكنت أتولى عنه عملية ترتيب الدولاب فى العنبر حسب ما تعلمناه من زملائنا الأقدم فى الكلية . ولكنه مع هذا لم يكن يسلم من الجزاءات الانضباطية ... ويقال إن شوكت هذا هو الطالب الوحيد فى الكلية الذى جرب كل أنواع العقوبات الانضباطية ابتداء من الطوابير الزيادة حتى الحجز الانفرادى فى الزنزانة ..

وكنت فى أحيان كثيرة أخرج يوم الخميس وأجد إحداهن فى سيارتها تنتظره وأسمعها تقول :

- هاللو حمدى ..

- هاللو .

- فين شوكت ؟

- محبوس .

- يخرب بيته .. مش هايتوب أبدا ..

- ممكن توصلينى التحرير ؟

- لأ .. أنا رايحة مصر الجديدة ..

وتنطلق بسيارتها .

وبمجرد تخرجه ألحق بالامن المركزى لمدة عام . وبعدها التحق بحرس مجلس الشعب والشورى . ولكنه تمرد على هذا العمل وطلب أن يعمل فى شرطة السياحة والآثار وأجيب إلى طلبه .

وكان آخر عهدى به فى السياحة والآثار . وكان آخر ما كنت أتوقعه أن أراه هنا . بل وفى هذه المديرية بالذات .

سألته مندهشا :

– معقول شوكت يتحمل الصعيد ؟

وجلسنا فترة نسترجع أيام الكلية وعنبر (ج) وقائد السرية «حبظلم» والتدخين فى دورة المياه والتحايل على تمارين اللياقة ، والنوم فى المحاضرات والبنات فقد كان يستيقظ فى الخامسة صباحا ليقول لى : إن البنت سوسو كانت فى حضنه الليلة . ويوم أن حاول زميل متدين لنا أن يعظه ويأمره بالصلاة وفوجئنا بشوكت يستجيب على الفور وذهب معنا للمسجد وبعد الصلاة اكتشفنا أنه لم يتوضأ .

★ ★ ★

وعندما سألت شوكت عن سبب مجيئه للصعيد كنت أتوقع سماع الحكاية المعهودة التى يحكيها كل ضابط ينقل من الشمال إلى الجنوب والتى مللنا من تكرارها وهى كالآتى :

– أنا اتخانقت مع المدير . وعرضونى على التفتيش . ومع ذلك رفضت الاعتذار للمدير .. المسألة مسألة كرامة شخصية . الروح لا يأخذها إلا خالقها . وبعد التفتيش وقفت أمام مجلس التأديب . والمجلس كان فيه واحد «غلس» كنت أنا رفضت مجاملته فى موضوع معين – لا داعى لذكره – فهو مجرد ما شافنى فى المجلس قال :

– تحضر نفسك باكر فى أسيوط .

فأنا على طول قلت له :

– لأ .. أروح قنا .

وبعدين جابونى هنا .. وفيه ناس نصحونى أقابل الوزير وبصراحة خالى قال أن الوزير ده دمه تقيل مش ممكن أقابله .. !

وهى الحكاية التى تعودنا سماعها من كل ضابط مع أن معظم حالات النقل - بعيد عن مواعيد الحركة - نعرف أن وراءها مشكلة كبيرة ومع ذلك فإن شوكت لم يحكها لى وحكى أمامى قصة مختلفة تماما حكاها بسرعة قبل وصول مدير الأمن وبداية الاجتماع قال :

- وأنا فى السياحة كنت أعمل فى تأمين فندق «.....» وكل ضابط له غرفة فى الفندق ينام فيها طوال المدة المعين فيها خدمة . ووظيفة ضابط السياحة فى الفندق هى حفظ الأمن والنظام والتحقق من شخصية بعض النزلاء وتحقيق بعض الوقائع المخلة بالأمن .

وحدث أن جاء سائح من أوغندا ومعه ابنته . ولاحظت أن الابنة دائمة الجلوس فى الـ «ريسبشن» وكانت تحدق فى النزلاء بطريقة مريبة .

وعندما اقتربت منها حدقت فى ووجدت نفسى أحدق فى عينيها . وشيئا فشيئا وجدت أنها بريئة ووجدت نفسى أستريح كلما نظرت فى عينيها واصطحبتها إلى غرفتى . مكثنا فيها ساعة واحدة . وبعد أن انتهينا ناولتنى مائتى دولار . وقالت وهى ترتب شعرها :

- مرسى ..

وفى اليوم التالى جاءت سائحة أخرى مثلها من غينيا - أوغندا مش فاكر .. ومكثت نفس المدة وأعطتنى مائتى دولار أيضا ووجدت أحد العاملين فى الفندق ينظر نحوى بغيظ وحقد .

وأصبح دخلى اليومى من هذا الموضوع حوالى خمسمائة دولار وبدأت أعرف السائحات - الخليجيات . وبينما كانت معى واحدة منهن حتى سمعت طرقا عنيفا

على الباب وفتحت الباب فوجدت مدير الإدارة ، ومعه اثنان من الضباط . المهم ساومونى على كتابة استقالة فرفضت. وبالطبع كان يستحيل عمل محضر بالواقعة لأن الخليجية كانت فى مهمة رسمية ومعها زوجها وهو مسئول كبير . ولكنهم أبلغوا الوزير عن الواقعة الأخيرة فقط فأصدر قرارا بنقلى إلى الصعيد .

المهم أنه بعد الإيقاف تطوع فاعل خير وأخبر زوجتى – لوجه الله – بالواقعة التى نقلت بسببها وأعطاها اسم الزوجة الخليجية . فما كان منها إلا أن غادرت منزل الزوجية حتى يومنا هذا .

وسكت شوكت برهة وقال :

– بيتى خرب يا صاحبى .

وحاولت أن أطمئنه بأن كل الأمور تسير بيد الله وأنه ينبغى عليه أن يحمد الله على كل حال .... ومع ذلك سألته :

– لكن يا شوكت هى البنت تستاهل ؟

قال :

– البنت الأخيرة – اللى نقلتنى – زى لهطة القشطة «بريجيريت باردو» لكن بتوع أفريقيا جلودهن مثل الباذنجان الأسود . لكن فيهن حلاوة والملمس عندهن ناعم ..

وسمعت صوتا يصرخ بعنف فى القاعة :

– انتباه :

ودخل مدير الأمن يرتدى بدلة سفارى بكم طويل وخلفه نائب مدير الأمن ويرتدى الملابس الرسمية . وخلفهما اثنان من مساعدى مدير الأمن وهما برتبة اللواء ويرتديان الملابس الرسمية . وخلف الجميع مدير إدارة البحث الجنائي وهو برتبة العميد ويرتدى الملابس المدنية ، ومفتش مباحث أمن الدولة ويرتدى الملابس المدنية أيضا وهو برتبة العميد .

وكانت القاعة معدة للاجتماع وهى عبارة عن منصة رئيسية وعدد كبير من الكراسي لجلوسنا نحن . وخصص الصف الأول من الكراسى للسادة الضباط من الرتب الكبيرة .

وبدأ المدير فى الكلام وقال .. بسم الله الرحمن الرحيم ..

وبدأ فى شرح الحالة الراهنة وقال إن الوضع خطير إلى أبعد الحدود وأنه لا ولن يسمح لأحد بالعبث فى أمن البلاد . وقال : إنه قام بتدعيم المناطق الملتهبة بعدد وافر من الضباط الاكفاء وتعيين رؤساء للنقط من الضباط المتازين ، وأنه أصدر تعليماته بالتوسع فى حالات الاشتباه وأنه أنشأ نظاما خاصا لتلك الحالات ..

وقام بشرح هذا النظام الذى تم تطبيقه منذ ثلاثة أيام بحيث يتم تجميع كل المشتبه فيهم فى مكان واحد ويقوم ضباط متخصصون باستجوابهم والكشف عن سوابقهم الإجرامية . ولم يكن من المعتاد أن يستمع المدير إلى وجهة نظرنا ، ولكنه فى هذا اليوم بالذات طلب أن يستمع . وبعد أن فرغ من خطابه بدأ ينظر فى أعين الجالسين أمامه يحثهم على الكلام ..

تشجع واحد من الضباط وكان برتبة العميد ويعمل مأمورا لأحد المراكز ذات الكثافة السكانية الكبيرة . وهذا المركز بالذات يعتبر بؤرة الأنشطة المتطرفة . مثل المركز الذى أعمل فيه أنا تماما ..

قال المأمور بلغة عربية سليمة :

- «من خلال تعاملنا مع الإرهاب فإننى أشعر أننا وحدنا الذين نتحرك للمواجهة فأين دور الأجهزة الشعبية والمحلية» ؟

واستطرد المأمور يعدد المرات التى طالب فيها أعضاء وأمناء الحزب الوطنى بالتدخل لدى عائلات وأسر المتطرفين من إقناعهم بتسليمهم ..!

وقال المأمور : إننا كنا ننتظر أن يمدنا أى واحد منهم بأى معلومات ويمكنهم بما لديهم من نفوذ واتصالات أن يتعاونوا معنا ولكن للأسف موقف هذه الأجهزة سلبى .

ووقف ضابط آخر يعمل فى إدارة البحث الجنائى وقال :

– نحن نقوم باحضار المشتبه فيهم ونحجزهم فيقوم أهل هؤلاء بالسعى لدى أعضاء هذه الأجهزة من أجل التدخل للإفراج عنهم وذلك من أجل استدرار الأصوات الانتخابية التى نحن مقبلون على مرحلة صعبة منها .

واستطرد الضابط وقد انتقل إلى ناحية أخرى وقال :

– ينبغى تطوير جهاز الشرطة ليكون على مستوى لائق من أجل مواجهة الإرهاب ، فلا يمكن للمخبر والمرشد الذى تعود على التعامل مع لصوص الدواجن والماعز أن يتعامل مع متطرف له فكر يؤمن به وقضية يموت من أجلها . إذ ينبغى أن يكون هناك تطور فى المستوى الفكرى لرجل الشرطة . وإلى أن يحدث هذا التطور ينبغى فصل الجانب المتعلق بالأمن الجنائى عن الجانب المتعلق بالأمن السياسى . بمعنى أن يتفرغ ضباط الأمن العام فى مديريات الأمن للأمن الجنائى وأن يتفرغ ضباط أمن الدولة يدعمها الأمن المركزى لعمليات الإرهاب بدلا من طغيان الأمن السياسى على الأمن الجنائى .

وتململ مفتش أمن الدولة مكانه . وخيم الصمت على الجميع . وبدأ المدير يظهر تبرمه وضيقه . وحاول أحد الجالسين بجوار الضابط جذبه من ملابسه لإجباره على الجلوس . ولكنه قاوم زميله واستمر قائلا :

– حوادث السرقات بالإكراه زادت على المعدلات السابقة . وحالات فرض الاتاوات على الأقباط والاغنياء بدأت تطل على السطح . هذا فضلا عن انتشار نوع جديد من الجرائم كان يظهر فقط فى المدن الكبرى ولكنه ظهر هنا فى بعض

المدن والأرياف . وهى حوادث الخطف والاغتصاب والتعرض للإناث وحالات سرقة المساكن نهارا . وحالات حمل السلاح العلنى .

وتكلم المدير مقاطعا الضابط قائلا :

– أنا معك فى كل الذى قلته .. ولكننا مكلفون بتحقيق نتيجة وليس من شئوننا رسم سياسة الوزارة . ولا داعى للخوض فى أمور ليست من واجبات وظيفتنا .

وقال المدير : إن سيادته حضر اجتماعا فى الأسبوع الماضى مع أمناء الحزب فى المراكز والوحدات وعندما تحدث معهم فى هذا الموضوع وجدهم يتكلمون بمنتهى الحماس .

وقال المدير : إنه من فرط حماسهم توقع أن تنتهى مشكلة الإرهاب خلال أسبوع .

وابتسم مدير الأمن وتبادل مع مفتش أمن الدولة النظرات وقال موجها كلامه إلينا :

– سوق الكلام رخص ..... !

وضحك مفتش أمن الدولة وضحك نائب المدير . ولما شاهدهما المدير وهما يضحكان ضحك هو الآخر . وعندما شاهدناهم وهم يضحكون ضحكنا معا ضحكة رجل واحد .

وحاول بعض الضباط الحديث فى هذا الموضوع ولكن المدير رفض أن يتحدث أحد فى هذا الموضوع وقال :

– هذا قدرنا .. !

وتحدث مفتش أمن الدولة فقال :

– لعلكم لاحظتم أثناء عملكم وجود أشخاص ينتمون إلى جماعة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وجماعة أخرى اسمها جماعة التبليغ .. وإن الجماعتين

تقومان عن طريق أعضائها بمنع الناس من عمل المنكرات ، وفى سبيل ذلك يتعرضون للناس ويسألونهم عن بطاقاتهم الشخصية والعائلية أثناء سيرهم خصوصا إذا ما وجدت امرأة تسير مع رجل . كما قاموا بمطاردة سيدة لا تغطى شعرها . وضربوا بالعصى الرفيعة سيدات كن يسرن وملابسهن قصيرة . وبالطبع لن نسمح لأحد أن يفعل هذا فى الشارع كما لن نسمح لهم بالتعرض للحريات الشخصية للناس .. وهذا مرفوض تماما ..

وعاد مدير الأمن للحديث عن الجداول الانتخابية والقيد فيها وقال : إن عملية القيد يجب أن تتم بصورة سليمة وطبقا للقانون وأنه يجب أن يتم عرض كشوف الناخبين فى الأماكن المخصصة لها في مكان بارز وظاهر لكل الناس . وأن تتم تنقية الكشوف من الموتى والمغادرين إلى أماكن أخرى .

وضحك الضابط الذى يجلس بجوارى همسا وقال :

– لكن مين يقدر يوصل للكشوف ويقرأ فيها ؟

وكنت أعرف أن الكشوف تعلق فى لوحات على جدران المركز الخارجية والأماكن الموجودة فيها مراكز الشرطة فرضت عليها حراسات كافية ومشددة ولا يمكن لأى فرد كان الاقتراب من مركز الشرطة لتقديم بلاغ أو قراءة كشف الناخبين والاعتراض عليه .

وأنهى المدير الاجتماع وقال :

– والله ولى التوفيق ..

وبعد انتهاء الاجتماع نظر المدير نحوى . وعندما ذهبت إليه قال لى :

– الليلة فيه حملة مكبرة عندك .. وأنا عايزك فى المكتب .

مكتب المدير واسع وكبير . والحوائط مكسوة بالخشب البنى المدهون بطلاء خاص منطفئ فأضفى على المكان وقاراً ورهبة .

وتوجد كراسى وأرائك مكسوة بالقطيفة لونها أحمر قانى . وتتوسط المكتب منضدة صغيرة عليها فازة ضخمة بها ورد وزهور طبيعية يتم استبداله يوميا .

ويوجد على جانب المكتب الأيمن بجوار المدير علم جمهورية مصر العربية بألوانه الثلاثة وقماشه متهدل . وبجوار العلم دولاب مغطى بالزجاج يظهر بداخله دروع وكئوس وميداليات بألوان وأشكال مختلفة .

ويوجد بالدولاب أيضا كتب لها كعوب ملونة . وقد أتيح لى عندما دخلت أن أقرأ عناوين تلك الكتب فوجدتها كالآتى :

- طرق ترويض وركوب الخيول .
- تمارين فى الدفاع عن النفس .
- كتاب عربى قديم اسمه رجوع الشيخ إلى صباه .
- اكتساح الملعب فى خصائص كرة المضرب .
- احصائيات الأمن العام .

وعلى يسار المدير جهاز راديو كبير الحجم يشبه الصندوق من أيام أول دفعة تم استيرادها وأودعت فى خزائن القلعة ، وصرفت من هناك لمديرى المديريات منذ أيام الخديو توفيق ! .

وتوجد منضدة على يمين المدير من ثلاث طبقات متدرجة . وكل طابق موضوع عليه عدتى تليفون وأحصيت ستة تليفونات بالاضافة إلى جهاز لاسلكى تصدر عنه ومضات ضوئية حمراء وينتصب وسطه تماما «ايريال» بطول حوالى متر .. !

ولم أسمع لجهاز اللاسلكى أى صوت ..

وتوجد على المكتب أجندة غلافها أسود لامع تطل من بين صفحاتها قطعة من الحرير ويقال : إن هذا المدير يدون فيها كل الملاحظات والمخالفات التى تصدر عن

الضباط ويكتب فيها أيضا موجز الشكاوى التى ترسل إليه ضدهم والاجراءات التى تمت فى تلك الشكاوى .

والمدير عندما يستدعى أى ضابط فإنه يفتحها قبل دخوله . لعل هذا سر إصراره على عدم دخول أى ضابط عليه من مرءوسيه قبل الاستئذان .

وعلى الحائط خلف المدير توجد لوحة كبيرة لها برواز عريض واللوحة مقسمة إلى مستطيلات أو مربعات صغيرة ومبطنة بالجوخ الأخضر . و الصفوف الثلاثة العليا من المربعات كلها مشغولة بصور لرجال .

الصف الأول من الصور يبدو للوهلة الأولى أنها صور لأجانب ، شعورهم طويلة وبعضهم يضع قبعة على رأسه ، وبعضهم يرتدى ثيابا مزركشة عند الصدر وصور أخرى تضع الطربوش على رأسها ، وبعضهم يرتدى الملابس العسكرية . والصور الحديثة ملونة .. وهؤلاء هم مديرو الأمن أو مديرو المديريات ابتداء من السير وندلى كازانوفا حتى هذا المدير الجالس والذى يبدو عليه الانصات الشديد لرئيس شعبة الآداب وهو يحكى له عن قضية جديدة ضبطها وكان معه مدير إدارة البحث ..

وعندما دخلت كان منهمكا فى الانصات ، وأشار لى بالجلوس على أقرب كرسى وقال :

– وبعدين يا جمال ؟

وقال جمال :

– الولد من هولندا كان بيشتغل هناك . وكان بيتصل بالبنت كل أسبوع من امستردام وآخر مرة واعدها على الحضور فى شهر مايو وقال لها : إنه حاجز لها فى قرية سياحية فى الغردقة ، فهى قالت له : إن زوجها يمنعها من الخروج أصلا . ولو عرف تبقى كارثة . ضحك الولد فى التليفون وقال لها كارثة إيه يا عبيطة . وفعلا يا باشا نزل أول مايو والولد المرشد إدانى تمام بنزوله .

وسأله المدير :

– مين المرشد ده ؟

قال جمال :

– المرشد ممرضة بنت خالة البنت . كان الولد وعدها بالزواج فى الأول وكانوا شبه مخطوبين . فهو لما اتعرف على البنت دى ترك الممرضة ومشى مع البنت دى .

وسأله المدير :

– الولد ده خواجا

قال جمال :

– لأ يا باشا ، دا مصرى ، ولد صايع معاه شهادة لاسلكى واشتغل على باخرة يونانية .

وقال المدير بلهفة :

– وأنت مالك . لغاية كدة سليم . واحد مرافق واحدة متزوجة .. ليس لنا دخل بهم .. والتفت إلى مدير إدارة البحث الجنائى وقال :

– الضباط مش عارفين القانون .

وابتسم مدير إدارة البحث وقال بهدوء .. :

– لسه يا باشا الموضوع له بقية . كمل يا جمال ..

وكان جمال قد امتقع له . وظهر عليه الخوف . ولكنه تشجع واستمر :

– الولد لما رجع من الغردقة هى مكنتشى راحت. فهو جاء إلى هنا ونزل عند أمه، وأصبح يتردد على بيت البنت أول مازوج البنت يخرج على شغله، هو يدخل وبعدين فاجأتهم الممرضة فى وضع وحش. الولد لبس هدومه وجرى ، والولد سافر هولندا لكن البنت عرفت واحد غيره . وفعلا دخل عندها كان بيجيب معاه هدايا . وآخر واحد أعطاها هدية عبارة عن أسورة دهب . وكلهم كانوا يرتبون المواعيد

بالتليفون . وبنت خالتها المرضة كانت بترصد وتقوللى . وبعدين إحنا ابتدينا نسجل لها . وآخر مكالمة كان فيه واحد بيكلمها وقالت له :

– أنا مش عايزة فلوس . أنا عايزة دهب .

ورد عليها :

– فى حدود كام ؟

قالت :

– احسب أنت تمن انبساطك ودلعك . أنا مش تلميذه تحضن وتبوس . أنا واحدة ست على سنجة عشرة . ودغرى .

وضحك المدير . وضحك مدير ادارة البحث وضحكت أنا وقال المدير :

– صحيح شراميط .

واستطرد جمال :

– وبعدين الراجل اللى بيكلمها شتمها وقال لها :

– سمير عطاكى عشرة جنيهات .

وقاطعه المدير قائلا :

– مين سمير ده ؟

قال جمال :

– سمير ده زبون . وهى ردت على الراجل فى التليفون وقالت له :

– صحيح سمير عطانى عشرة جنيهات لأنه باس وحضن وبعد كده نام فى الخط ياروح أمك ..

كان عيان ومش صالب طوله ...

وقال مدير ادارة البحث :

– كل بحسابه .

واستطرد جمال :

– وبعدين أنا سألت المرضة عن سمير فقالت : يابيه أنا خايفة ..!

فقلت لها : خايفة من إيه ؟ .

قالت : سمير ده دكتور كبير وعنده عيادة ومعارفه ياما قضاة ونيابة وضباط ويعرف يطلع زى الشعرة من العجين . فأنا قلت لها : اطمئنى . موقفك سليم وانت بعيد عن الموضوع خالص .

وقال المدير :

– هى المرضة دى كانت معاها ؟

وقال جمال :

– ايوه .. اصل البنت كانت ضبطت جوزها مع بنت خالتها المرضة . وبعدين انا اتفقت مع المرضة انها شاهد بس .. وكلمت وكيل النيابة وقلت له على القضية . وجبت الاذن وجبنا اذن من القاضى بالتسجيلات وبدأنا نسجل ونراقب .

وقال المدير :

– على بركة الله وبعدين .

وقال جمال :

– وبمجرد مادخل سمير عندها البنت المرضة اتصلت بى وقالت :

– الولد عندها من ربع ساعة . فأحنا على طول دخلنا الشقة الساعة تسعة بالليل وكان فيها سمير ومعاه واحد تانى وواحدة ست . والرجل التانى قال : أنا فريد مدحت وسألنى : أنت معاك أذن نيابة وكان عريان ملط . وبسرعة المخبرون تحفظوا على الملابس . كان سمير لابس «كلوت» و«الرجل» عريان والبنات كانوا خالعين . وفتشنا الشقة لقينا سجاير بحشيش . ولما عرضناهم على النيابة أخذوا استمرار .

وقال مدير ادارة البحث :

– على فكرة ياباشا جمال ضابط ممتاز وشغال . وبرضه ضبط قضية كويسة وأخذت استمرار برضه .

وقال المدير :

– قضية ايه ؟ .

قال مدير إدارة البحث :

– ناظر مدرسة كان معاه مدرسة فى المكتب بعد انتهاء المواعيد .

وسكت مدير إدارة البحث لحظة وقال :

– وعلى فكرة احنا بلغنا أمن الدولة بالواقعة دى . لأن الناظر مسيحى والبنت مسلمة .

واحتمال عناصر الجماعات تتدخل .

وقال مدير الأمن :

– أكيد ..

ورن التليفون على المنضدة بجوار المدير . ورفع المدير سماعة التليفون وقال :

– ألو ..

– .....

أهلا .. أهلا .. فينك ياأبو خليل . فين ايامك ياراجل ؟

– .....

– كلنا على دا الحال .

– .....

وضرب المدير يده على المكتب وهو يضحك . وفرد ذراعيه فى الهواء واستلقى بظهره للخلف . وكان الضحك يخرج من جوفه ، وضحك مدير المباحث وضحك جمال وضحكت أنا مجاملة للمدير .. وسمعناه يقول :

– تتصور ياأبو خليل .....

وبعد أن انتهى من حديثه مع زميله مدير الأمن فى مديرية أخرى . نهض مدير المباحث واقفا ونهض جمال وصافحا المدير وانصرفا .. وقلت للسيد المدير :

– تحت أمرك .

ونظر نحوى وقال وهو يفكر ..

– أنا كنت عايزك فى ايه .... ؟ ..... مش فاكر ..... آه .. الحملة ...!

وخرجت .....

★★★

كان تجمع القوات فى المركز منذ بداية العاشرة مساء .

جاء ضابط من أمن الدولة برتبة عقيد . جلس معى فى المكتب وتحدثنا عن العمليات الأخيرة وسألته عن مأمورية الليلة فقال إنهم قبضوا على شخصين من افراد الجماعات الاسلامية منذ ثلاثة ايام ، وقال إنهم – أى رجال أمن الدولة – حاولوا معرفة مكان اختباء زعيمهم وهو مهندس ومعه نائبه وهو ضابط سابق فى القوات المسلحة وهو يجيد الرماية وعمليات الهجوم المباغت والتدريب على استخدام الأسلحة ولكن المقبوض عليهم أنكروا . واستخدموا معهم كل الطرق الحديثة المتبعة في جلب الاعترافات ولكنها فشلت ..!

واستطرد ضابط أمن الدولة قائلا أنه تم مراقبة عربجى يعمل على عربة يجرها حمار ويتجول بين القرى ويقوم بتوزيع الخبز الافرنجى على بعض محلات بيع الأطعمة فى القرى ولبعض الفلاحين الذين يعملون فى الحقول . وعرفنا انه يقوم ببيع الكمية كلها فى قرية معينة فى يومى الأحد والاربعاء من كل اسبوع . ولاحظنا ان أحد الفلاحين ينتظره فى هذين اليومين ويشترى منه كل كميات الخبز والطماطم .

وفى هذين اليومين أيضا يقوم هذا العربجى بحمل كميات من اللحوم تصل الى ستة أو سبعة كيلو جرامات ، وان الفلاح الذى ينتظره معه زكيبة يضع الأشياء ويحملها على حمار .

وقال ضابط أمن الدولة إنهم راقبوا هذا الفلاح وتتبعوه وشاهدوه وهو يقطع الطرق الزراعية الضيقة حتى الحدود الفاصلة بين الصحراء والارض الزراعية ويستمر فى سيره فى الطريق الوعرة صاعدا الجبل حتى يصل الى مكان معين ويقوم بانزال الزكيبة من على ظهر الحمار ، ويتركها بعد ان يلتقط قطعة مربوطة وفيها ثمن البضاعة . ثم يعود أدراجه .. وقال ضابط أمن الدولة إنهم استخدموا منظارا مقربا لمشاهدة افراد الجماعات وهم يأخذون الزكيبة فى غروب الشمس .

وشاهدهم وهم يجلسون عند مدخل مغارة فى الجبل واستطاعوا رصدهم تماما ومعرفة تسليحهم وعددهم .

ودخل «أبو خليل» فجأة وأعلن عن وصول السيد اللواء مساعد مدير الأمن ونهضنا جميعا لتحيته عند باب المركز . ولكننا وجدناه وقد اقترب من المكتب فأدينا له التحية ودخل أمامنا إلى مكتبى .

كان مع اللواء اثنان من الضباط فى رتبة العقيد ومع كل منهم سيارة فيها عدد من الجنود المسلحين بأسلحة آلية .. وكل ضابط مسلح ببندقية آلية . ثم جاء عدد من ضباط الأمن المركزى وهم من صغار السن ويرتدون الملابس السوداء المميزة وكانوا أكثر الموجودين شبابا .

وقام أقدم واحد من ضباط الأمن المركزى بتقديم نفسه للسيد اللواء وأعلن أنه على رأس ثلاثة تشكيلات وفيهم مجموعة قناصة .. وكنت أعرف ان التشكيل يتكون من عناصر ضرب النار . وعناصر لقذف القنابل المسيلة للدموع . وقنابل

الدخان وعناصر أخرى مسلحة بالعصى لمواجهة المظاهرات .. وعناصر معها أسلحة حديثة للاشتباك الفردى تصيب من يضرب بها بشلل مؤقت فيسهل القبض عليه ..

وجاء مدير إدارة البحث الجنائى ومعه عدد من الضباط من مختلف الرتب ، وكانوا يرتدون الملابس المدنية وبعضهم يرتدى الملابس البلدية وهى عبارة عن جلباب بفتحة مستديرة عند الرقبة واكمام واسعة ويضعون على رءوسهم «الطواقى» كما يفعل أهل البلد من الفلاحين ..

★★★

أخرج اللواء ورقة من جيبه وبسطها أمامه ونظر فيها ثم رفع عينيه ونظر الى أحد الضباط ثم أعاد النظر فيها وعاود النظر إلى ضابط آخر ..... وهكذا .

كان يقوم بالتتميم على الضباط المشتركين فى الخدمة ..

وبعد ان فرغ قال :

– تمام .. على بركة الله ..

وتناول سماعة التليفون وطلب رقما . وتحدث حديثا غير مسموع وقبل ان يضع السماعة سمعته يقول :

– إن شاء الله قبل الساعة اربعة .

ثم وضع السماعة .

نظرت فى ساعتى فوجدتها تقترب من الثانية صباحا .

★★★

خارج المكتب كان نائب المأمور يقوم بتجميع القوات التابعة للمركز والتى ستكون معنا .. كان معظمهم من مساعدى الشرطة كبار السن ومع كل منهم بندقية من طراز عتيق .. لى انفيلد . وهذا النوع من السلاح كان يستخدم أيام جيش الاحتلال وكان وقتها أحسن أنواع السلاح .. أما الآن فقد تآكلت معظم

الأجزاء ، والأجزاء أصابها الصدأ . ولاحظت ان معظم هؤلاء - يضعون الذخيرة فى جيوبهم والبعض الآخر يضعها فى «فردة شراب» ويعلقها فى حزام الوسط «القايش» .

طلبت من نائب المأمور التفتيش على السلاح والذخيرة وبالفعل قام نائب المأمور ومعه أحد الضباط بالتفتيش على الأسلحة والذخيرة فتبين عدم صلاحية بعض الأسلحة وتم استبدالها . أما الذخيرة فقد تبين فسادها كلها . وكانت الطلقة يمكن تجزئتها إلى قطعتين هما المقذوف ، والظرف . وقد أمرت بسرعة استبدال الذخيرة والاستغناء عن كبار السن من القوات .

وتم هذا فى زمن قليل ..

★★★

لاحظت عدم وجود رئيس وحدة المباحث ..

أرسلت من يستدعيه ويخبره بوجود مدير ادارة البحث والسيد اللواء مساعد المدير وباقى الضباط .

وعندما وصل كان يضع طبنجة فى وسطه ويبدو عليه الهدوء والوقار . وكنت قد لاحظت عليه ذلك فى الأيام الأخيرة ، وكذلك ندرة جلوسه معى فى المكتب كما كان يفعل .. وعرفت انه بدأ يكثر من الجلوس فى مكتبه .

وكنت قد دخلت عليه فى مكتبه بالطابق العلوى فوجدته يصلى فجلست أنتظره ولاحظت أنه ما ان ينتهى من صلاة حتى ينهض ويرفع ذراعيه ويدخل فى صلاة جديدة .

وأيقنت انه يتعمد الصلاة حتى لا يجلس معى ..!

وحاولت جاهدا أن أبحث فى نفسى عن سبب نفوره منى .. ولكننى لم أعثر على شىء يمكن أن يؤدى لهذه الجفوة بينى وبينه .

والحق اننى حاولت مغادرة المكتب وانتظاره فى مكتبى حتى يفرغ من الصلاة وما ان نهضت وكان هو جالسا يقرأ التشهد وبعدها فرغ من الصلاة ونهض لاستقبالى ورفع السجادة عن الأرض قلت له :

– حرما ..

قال وهو يطوى السجادة :

– جمعا إن شاء الله .

وتحدثت معه ساعتها فى أمر هؤلاء الذين يتم حجزهم بمعرفة المباحث دون مسوغ قانونى . وأخبرته اننى وصلتنى معلومات عن قيام بعض المخبرين باستغلال نفوذهم . وطلبت منه ان يستبدلهم بغيرهم وألاّ يتوسع فى جلب حالات الاشتباه .

ونظر فى عينى وقال :

– طبعا .. طبعا

وصمت لحظة وقال :

– سيادتك تعرف انه غصب عنى ..!

★★★

بعد أن انضم رئيس وحدة المباحث الى الجالسين قال اللواء :

– طبعا احنا جاهزين للقيام بحملة على قرية بنى فلتر ، وفيها ثلاثة من أخطر القيادات ، ومن المحتمل التعامل معهم .

ثم توجه بعد ذلك الى مدير المباحث وقال :

– فيه اذونات من النيابة بالقبض والتفتيش ؟

وفتح ضابط أمن الدولة فمه ثم أغلقة .. وحملق فى الهواء .وسكت مدير المباحث من هول الدهشة والمفاجأة التى جاء بها السيد اللواء فى الوقت الحرج نظرنا كلنا اليه ..!

وشعر الرجل فى تلك اللحظة أنه أخطأ ..

تبادلت معه النظرات . وخيل إلىّ انه يستغيث بى . ربما يريد ان يحملنى انا المسئولية باعتبار ان القرية - بنى فلتر - تتبعنى انا من ناحية الاختصاص المكانى باعتبارى مأموراً للمركز وطبقا لهذا فأنا المسئول الأول .

كان ضابط أمن الدولة يشعر انه مركز السلطة . واننا جميعا ينبغى ان نستمع إليه وننفذ فقط . فهو صاحب المعلومة والمسئول عنها . ولم يكن ضابط أمن الدولة يتوقع هذا السؤال ، ولا أى واحد من الحاضرين وكذلك لم يجر العرف الشرطى ولا التقاليد الأمنية على قيام رتبة أعلى بالاستفسار عن موضوعات كهذه باعتبارها من بديهيات عمل الشرطة وإنما هذه الأمور يتولاها الضابط المختص ويرتب لها مسبقا . وهو فى هذه الحالة ضابط أمن الدولة .

قال ضابط أمن الدولة وقد تدارك نفسه . وكان فى تلك اللحظة ينظر ناحية اللواء :

- المشكلة ليست فى الإذن . ولكنها فى كيفية إخراج الأولاد من الوكر والتعامل معهم . نحن نريدهم أحياء ما أمكن .

ولم أتركه يسترسل ووجدت نفسى مندفعا للكلام وقلت :

- بالعكس المشكلة الأساسية هى الإذن . وطالما لايوجد إذن فيجب إعادة الحساب من جديد وانا لا استطيع ان اتحمل شيئا ، ولا أحب أن يسألنى أحد عن خطأ وأقف عاجزا عن الرد .

تدارك اللواء فداحة القضية التى أثارها وقال :

- أنا لا أقصد الإذن بذاته . أنا أريد توفير الغطاء القانونى لتصرفنا ..!

وتحدث مدير المباحث وكان يراقب الموقف بهدوء وقال :

– الاذونات موجودة ..!

نظر إليه ضابط أمن الدولة بارتياب . وسرعان ماتهللت أساريره وقال وهو ينظر إلى اللواء :

– خلاص .. المشكلة اتحلت .

★★★

نهضنا جميعا . وحمل كل منا سلاحه الآلى . وسرت أنا بجوار اللواء وعندما وصلنا إلى سيارته طلب منى أن أركب معه .

وخيّم علينا الصمت . وسألنى فجأة ..

– أنا غلطت فى حكاية الإذن دى ؟

قلت له :

– أبدا ياباشا . بالعكس الامور يجب ان تكون واضحة ومحسوبة .

قال اللواء :

– ضباط أمن الدولة يتصرفون دون حساب للعواقب وعند تحديد المسئولية ترجع لصاحب الاختصاص .

وسكت الرجل لحظة كأنه يعيد التفكير فى عواقب كلمته وقال :

– أنا أعرف ان كل كلمة قلتها ستصل إلى القيادات . ولكنى يجب أن أتكلم الحق ..

وأشفقت على الرجل . فقد كانت حالته الصحية واضحة ويبدو عليه ضيق شديد فى التنفس وهو ما لم أشاهده من قبل فيه . وكانت مخارج الألفاظ عنده غير ميسرة .

وكنت أعرف أنه خدم طويلا فى مجالات الأمن العام . وحضر دورات مكثفة فى أكاديمية الشرطة وخارج البلاد وله مؤلفات فى مجال مكافحة المخدرات ولكنه بلا

شك كان متأثرا بالطابع النظرى الأكاديمى الذى يفضل دائما الارتكاز على الجانب القانونى .

وهو بلاشك يجهل أن الأمر هنا يختلف حيث يتعين عليه التعامل مع جريمة من نوع خاص . وهو نوع من الجرائم له طابع سياسى فضلا عن تعاطف الناس والجمهور مع هؤلاء الذين ننظر نحن إليهم باعتبارهم متطرفين . وينظرون هم إلى أنفسهم كمجاهدين فى سبيل إعلاء كلمة الله ..

بل ويبررون قتل الخفراء والجنود والضباط ويرجعونها إلى آيات الله فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية ويعتبروننا من أعوان الطاغوت ..!

والناس هنا يتابعون الموقف ويشفقون عليهم . ويخافون منا ومن سطوتنا وجبروتنا . والأمر فى نظر الناس مباراة بيننا وبين المتطرفين ومن ينتصر سيقدمون له الولاء ويجهزون له كرسى الحكم ..!

وأيدنى الرجل فى كل كلمة وقال باستسلام :

- أنا بعد شهر أو شهرين سأكون فى المعاش ..!

وتأملت الظلام الدامس حولى من خلال نافذة السيارة المفتوحة وقال :

- عندما تصبح فى مثل سنى سوف تشعر أكثر بهذه الأمور ..!

ووافقته على رأيه دون أن أفكر فيه .

★★★

شاهدنا من بعيد قرية . وهى القرية التى ستخترقها القوات للوصول إلى الوكر الموجود فيه المطلوبين . كانت أنوار القرية مضاءة واضاءتها خافتة . وكلما اقتربنا ازدادت الأضواء وضوحا وظهرت تفاصيل الأشياء .. ظهرت فى أول الأمر حديقة لها سور منخفض تظهر منه الاشجار ولونها اسود فى الظلام . بجوار السور طريق ترابى يؤدى إلى مدخل القرية وعندما اقتربنا وجدنا ميدانا فسيحا .

وكنت أعرف في هذه القرية عدداً كبيراً من المتطرفين وانه من المحتمل ان يطلق علينا الرصاص في أى لحظة ..!

ولكننى طردت هذا الواجس واعتمدت على الله ..

فى الميدان توجد نقطة شرطة . وفيها مدرعة تعسكر فيها بصفة مستمرة وهى التى تنقل الضباط من النقطة إلى مقر المنطقة .. وعندما وصلنا الى النقطة نزل الضباط ومعهم القوات فى هدوء وفى مقدمتنا السيد اللواء ودخلنا النقطة .

النقطة عبارة عن مبنى كبير . كانت قصرا لصاحب الأراضى الزراعية المحيطة بالقرية . ويقال : إن الرجل مات عن غير وارث تاركا زوجة ماتت بعده بقليل . واستولت الحكومة على الاملاك وجعلت القصر مقرا لنقطة الشرطة .

عندما دخلنا وجدنا اللواء نائب المدير للمنطقة . صافحه اللواء مساعد المدير أولا . وصافحه باقى الضباط . ولاحظت ان اللواء نائب المدير صافح اللواء مساعد المدير دون اكتراث ، ويبدو أن وجود أحدهما أزعج الآخر ، وكلاهما لم يكن يستريح لوجود الثانى .

تكلم نائب المدير باعتباره قائدا ورئيسا للقوات فقال :

– التحرك بعد نصف ساعة وسنتحرك فى المدرعات حتى آخر الطريق الترابى وبعد ذلك تتوغل الأكمنة حول الوكر وحسب آخر المعلومات انهم يخرجون من الوكر لصلاة الفجر فى زاوية صغيرة فى الجبل ويصلى معهم بعض البدو والرحل .

سأله اللواء مساعد المدير :

– فيه كام مدرعة ؟

قال نائب المدير دون ان ينظر اليه :

– اتنين .. !

معنى ذلك أنه لاتوجد فائدة لهذا الحشد من القوات .

جلس الضباط في القاعة الخارجية بينما جلس اللواء نائب المدير واللواء مساعد المدير ومدير المباحث ومفتش أمن الدولة في غرفة داخلية ، وكان في النقطة قبل وصولنا عدد من الضباط يقيمون في النقطة لمدة أسبوع وهم يقيمون اقامة كاملة ، وذلك عقب حدوث عدة اعتداءات من أعضاء الجماعات الاسلامية على بعض المواطنين ومنهم بعض المسيحيين بحجة التعامل مع رجال الشرطة ..

ودارت علينا أكواب الشاى الصغيرة .

ثم خرج اللواء نائب المدير وخلفه مساعد المدير ومدير ادارة البحث الجنائى ومفتش أمن الدولة وخرجنا خلفهم ..

كانت فى فناء النقطة مدرعة .

وكانت الثانية تنتظر خارج مقر النقطة .

ركبنا كلنا وسارت أمامنا المدرعة التى فيها نائب المدير ونظرت خلفى فوجدت كل الموجودين معنا من الضباط ومعهم الأسلحة الآلية .

وبعد أن سرنا مسافة قليلة وقبل ان نغادر القرية شاهدت مدرعة ثالثة . أخبرنى أحد الضباط أنها تخص الأمن المركزى وفيها بعض ضباط العمليات الخاصة والمدربون تدريبا عاليا على عمليات الاقتحام . وهؤلاء حضروا خصيصا من القاهرة مساء أمس .

نزلوا من المدرعة . وصافحونا وكانوا ستة ، وفيهم اثنان من أمناء الشرطة .

وسارت المدرعات الثلاث مخترقات شوارع القرية النائمة وبعد حوالى نصف ساعة توقفت المدرعة الأمامية ونزل منها اللواء نائب المدير وخلفه الموجودون معه . ونزلنا نحن . ونزل ركاب المدرعة الثالثة . وكنا قد وصلنا الى بداية انحدار الجبل

ولا تستطيع المدرعات أن تخطو فيه خطوة واحدة لوعورة الطرق فضلا عن الارتفاع الشديد .

★★★

صعدنا لأعلى . وسرنا فى طابور يتقدمه ضابط من أمن الدولة حتى وصلنا إلى منطقة مستوية أعلى الجبل ، وتوقفنا بجوار بعض الحوائط القديمة المشيدة بالأحجار وجعلناها بمثابة ساترا طبيعيا لنا ..

وعلى امتداد النظر شاهدنا فتحة كبيرة سوداء فى الهضبة المنبسطة أمامنا .

وقال ضابط أمن الدولة إنهم سيخرجون منها بعد نصف ساعة بالضبط .

تقدم ثلاثة من القوات الخاصة بملابسهم السوداء وفى يد كل منهم بندقية آلية عليها تلسكوب ، وفى يده الثانية جهاز لاسلكى مضبوط على نفس الموجة معنا .

كانوا يهرولون وظهورهم منحنية . وعندما ابتعدوا عنا خيِّل إلىّ انهم ثلاثة من ضباع الجبل الضخمة تسير فى الصحراء .. وبعد ابتعادهم ركض خلفهم ثلاثة آخرون وهرولوا بنفس الكيفية حتى ابتعدوا عن الانظار .

وتعلقت أبصارنا بالمنطقة التى غابوا فيها ..!

وحبسنا أنفاسنا ...!

وخيِّل الىّ ان عقرب الثوانى فى ساعتى لايتحرك ، وأن الدهر توقف عند هذه اللحظة .

وبعد حوالى نصف ساعة كاملة سمعنا نباح كلاب ..

كان النباح متقطعا ..

سمعنا ثلاث دفعات من بنادق آلية .

وقال ، واحد من الضباط :

– بنادقنا ..

وقال ضابط أمن الدولة :

- كلها بنادقنا .

ثم وجه كلامه نحوى وقال :

- انت نسيت ان السلاح اللى مع العيال هو السلاح اللى أخذوه من عساكر نقطة الشرطة بعد ماضربوهم ..

وكان قلبى يدق بعنف ..!

وكنت أعرف أنه فى تلك اللحظة تقتل أنفاس بشر . وتصعد أرواحهم الى خالقها . وهناك سوف تسأل عن أعمالها ..

★★★

نظرت إلى الحائط الذى ارتكن اليه ، وفى يدى البندقية . شاهدت عليه نقوشا غريبة وعندما دققت فيها استطعت ان اتبين رسوما محفورة وهى لرجال عرايا يرقصون . وبعضهم ظهورهم منحنية امام رجل عار ايضا له رأس طائر غريب ..

وعندما بدأت أتأمل الرسوم وجدتها تشبه إلى حد كبير تلك النقوش الموجودة على لوحات متحف الآثار فى القاهرة .

شاهدنى واحد من الضباط وانا أدقق فى الرسوم فانضم إلىّ ونظر إلى حيث أقف أنا . فشاهد صورة واضحة لامرأة عارية تحمل طفلا صغيرا على يديها وترفعه إلى حيث يجلس رجل على كرسى ويحمل رأسا تشبه إلى حد كبير رأس غراب ..!

وفى خلفية الصورة رسوم كثيرة لم أتبينها ..

كانت أرضية المكان تحتنا غائرة . وعندما نظرت حولى وتأملت المكان وجدت عبارة عن حوائط متهدمة فيها بقايا أعمدة والحوائط سميكة بشكل مبالغ فيه . وسمعت صوت دفعات بنادق أخرى .

ثم عم السكون .. وأعقبه صراخ حاد .. ثم نباح كلاب ، وانطلقت دفعات أخرى وخيّم السكون مرة ثانية .

وسمعت جهاز اللاسلكى يصفر فى كف نائب المدير . وجاء صوت واضح فى الجهاز يقول :

– مبروك ياباشا .. المأمورية انتهت .. ممكن سيادتك تتفضل ..!

وشاهدت ضوءا «خافتا» ينبعث من الشرق . كان الصباح ينبلج ، وأمسك اللواء نائب المدير بندقيته ونظر نحونا وقال :

– كل واحد بسلاحه مع الحرص الشديد ..

وهيمنت علينا مشاعر متضاربة ..!

وخيّل إلىّ أن عزرائيل لم يغادر المنطقة مع رجاله وأعوانه .بل وتصورت انه من الممكن ان يكون قد استقر فى هذا المعبد الفرعونى المهجور .

وشعرت برجفة تسرى فى كيانى . وهيمن علىّ خوف شديد وأيقنت فى تلك اللحظة أننى لا أصلح للعمل ..

★★★

بمجرد أن تحرك نائب المدير ونحن حوله سرت فى جسدى نشوة غريبة وطردت كل أحاسيس الخوف السابقة وازدادت قبضة يدى إحكاما على البندقية .

وهيمنت علىّ نزعة غريبة ورغبة عارمة فى استعمال السلاح واطلاق النار فى أى اتجاه وعلى أى أحد وخفت من هيمنة هذا الشعور علىّ .

وكان ضوء الصباح قد بدأ يغمر المكان .

وشيئا فشيئا بدأت الأشياء تتضح أمامنا ..

وشاهدنا رجالنا الستة وهم منبطحون على الارض فى وضع الاستعداد ،

وشاهدنا شجرة ضخمة بجوارها حفرة واسعة فى الارض وكلاب تقف متأهبة وهى تنبح ..

وعندما وصلنا إلى حيث ينبطح الرجال نهضوا واقفين .

قال واحد منهم :

– أربعة عند الشجرة ..!

وتحرك أفراد القوات الخاصة بملابسهم السوداء ركضا أمامنا حتى سبقونا وتوزعوا فى ثلاثة اتجاهات . كل اثنين متجاوران ، مجموعة توجهت إلى يمين الشجرة ، والثانية إلى يسارها والثالثة دارت حول الموقع حتى استقرت خلفه .

تقدمنا بحذر . ونحن نسير فرادى ..

وصلنا إلى قرب الموقع ، ومن بعيد شاهدت الكلاب الثلاثة وهى الكلاب التى عوت فور رؤيتها للضباط . وبعد مسافة بالقرب من الباب شاهدنا جثة لشاب منكفئة على وجهها ولازالت الدماء تنزف من الرقبة والصدر وكانت تحت الجثة بندقية آلية سالت الدماء عليها ..

تقدم واحد من ضباط إدارة البحث ومد يده الى الجثة وعبث بالوجه والعينين وقال :

– ميت

ومد يده وسحب البندقية من تحت الجثة وشاهدنا الرقم المكتوب على «دبشك» البندقية باللاكيه ، وكانت البندقية قد أصابتها طلقة أتلفت الأجزاء المتحركة ..

ناولنى الضابط البندقية ..

كانت البندقية ملطخة بالدماء ، وكان مكان الطلقة التى اصابتها واضحا ، والرقم مكتوب عليها واضح وهو مايؤكد ان البندقية كانت مع واحد من الجنود الذين قتلهم أفراد الجماعات واستولوا عليها.

قلّب الضابط فى الجثة .

فتش الجيوب . فلم يعثر فيها على شىء ..

كانت الجثة لشاب حليق الذقن والشارب وله شعر غزير فى مقدمة رأسه وقد سالت الدماء عليه فبدأ ملبدا وفيه بقايا رمل .

وكان الشاب يرتدى سترة كاكية من نفس النوع الذى يرتديه أفراد القوات المسلحة . وسروالا من الجينز الازرق .

وبالقرب من الجثة وجدنا جثتين أخريين . واحدة وجهها لأعلى والفم مفتوح والدماء النازفة منها تخثرت على الرمال وتجمعت كبقعة كبيرة متصلة بالجثة من الناحية اليمنى ، وقد أحدث الرصاص الكثيف ثقوبا كثيرة متجاورة فيها وبدا تجويف البطن وفيه ثقب هائل برزت منه الأمعاء المهترئة .. وكان الجلد حول الفتحة محترقا ولونه اسود .

والجثة الثانية لشاب أصلع تفتت عظام صدره تماما واحترقت الملابس عند صدره وبطنه وكان فمه مفتوحا ، ويبدو ان الروح فارقته قبل ان يطلق صيحة الموت الأخيرة ..

وظل الضباط فى باب الوكر . وانشغل بعضهم بالبحث عن السلاح ، وقمنا بتفتيش الوكر الذى كان عبارة عن باب كبير يقضى إلى مدخل واسع وسط الأحجار «كهف» وعندما دخلنا وجدناه يتشعب الى دهليزين .

فى الدهليز الواقع ناحية اليمين عثرنا على كيس فيه كمية كبيرة من الطلقات وكيس آخر فيه لفة ورقية فتحها ضابط أمن الدولة فوجد إحدى عشرة رزمة من الأوراق النقدية فئة العشرين جنيها .

وقال ضابط أمن الدولة :

– المتعلقات الشخصية والأوراق أشوفها بنفسى ..

وبالفعل عثر بعض الضباط على مجموعة من الخطابات مربوطة بقطعة من البلاستيك كالمستخدم فى ربط النقود ، وأعطوها لضابط أمن الدولة ..

وعثرنا على كشكولين تصفحهما ضابط أمن الدولة . فوجد فى الكشكول الاول كتابات بخط اليد مكتوبة بخط جميل وبقلم جاف . وفى منتصف الصفحة الأولى مكتوب :

«بسم الله الرحمن الرحيم»

وفى السطر الثانى :

(وبه نستعين)

وفى الصفحة الثانية وبقلم لونه أسود وبنفس الخط الجميل وبالخط الثلث مكتوب :

«كتاب قتال العصر كفار الحديث ، والأدلة الشرعية التى تجيز قتالهم» .

والكشكول مكتوب كله حتى آخر صفحة ..

أما الكشكول الثانى فالكتابات الموجودة به عبارة عن مذكرات بخط اليد أيضا تبدأ بتاريخ مضى عليه شهران وينتهى بتاريخ أمس . والحق اننى كنت اريد ان احتفظ به ، ولكن ضابط أمن الدولة أصر على أخذه منى وبالفعل اعطيته له . ووعدنى بأنه سيعطينى إياه بعد تصويره عندهم فى الفرع ..

وعثرنا على صندوق فيه ملابس وبفحصها تبين إنها ملابس لرجال الشرطة وتوجد بينهما ملابس لضباط فى رتب النقيب والرائد والمقدم .

وعثرنا على وابور يشتعل بالكيروسين من النوع القديم الذى يستخدم فيه كباس الهواء.

كما عثرنا على وابور آخر تستخدم فيه أشرطة القطن وأوانٍ فيها بقايا طبيخ وأطباق وملاعق وجوال من البلاستيك فيه من الخبز الجاف وبقايا أرغفة طرية ،

كما وجدنا إناء من البلاستيك فيه سمن بلدى وإناء آخر فيه جبن ، وبطاطين وملابس داخلية وسكاكين كبيرة الحجم وسواطير وبلط ، وفئوس وحراب طويلة لها سن مدبب وسيوف حادة بطول نصف متر .

كما عثرنا على كميات من أدوية الكحة والربو وأقراص تستخدم كعلاج لعسر الهضم وأقراص من النوع الذى يتعاطاه بلطجية القاهرة من اجل اكسابهم قدرة على تحمل الضرب المبرح الذى يتعرضون له فى اقسام البوليس . وقد عثرنا أيضا على عوازل طبية تستخدم كواقٍ ذكرى لمنع الحمل ورشتات لأطباء مسلمين ومسيحيين ، ومنهم طبيب أعرف له عيادة فى المركز الذى أعمل فيه وله شهرة كبيرة والروشتة بدون اسم مريض ومكتوب فيها علاج عبارة عن أربعة أدوية حقن واقراص ولكننا لم نعثر لهذه الأدوية على أثر ..! .

ووجدنا بطاقات شخصية وعائلية واستمارات لاستخراج بطاقات مختومة بخاتم شعار الدولة وستتولى اجهزة البحث الجنائى وأجهزة أمن الدولة فحص الأسماء المدونة فيها وهى جاهزة لتقديمها للسجل المدنى لاستخراج بطاقات عائلية ، وقد وجدنا اجولة مربوطة فيها قطع حجرية وبفحصها تبين انها لوحات اثرية نزعت من حوائط حجرية بطريقة بالغة الدقة وتنم عن مهارة فنية فائقة فى نزع تلك القطع عن الحوائط ..! .

وعثرنا على صندوق فتحناه فوجدنا فيه لفافات من القماش فتحناها فوجدنا بداخلها طيور محنطة من زمن قديم وهى لطائر يشبه - أبو منجل-

وقال ضابط ان هذا الطائر اثرى ومحنط منذ ايام الرومان وانه معد للتهريب وكانت تلك الأشياء المعثور عليها تحتاج الى سيارة لنقلها .

★★★

خارج الوكر كان اللواء نائب المدير يبلغ مدير الامن بالتفاصيل . ظل بعض الضباط بجوار الأشياء التى وجدناها فى الوكر وكان احد ضباط المباحث يسجل فى ورقة معه الاشياء الموجودة . وكانت الشمس قد بزغت من الشرق .

وبدأنا نتجه ناحية السيارات للعودة عندما سألنى سائق السيارة :

– صحيح ياباشا لقيتوا فلوس ؟

ولم أرد عليه .

وعندما اقتربت من سيارة اللواء نائب المدير وجدت ضابط أمن الدولة يقول له :

– عن اذنك ياباشا نوزع الغنائم .

وبالفعل قام بافراغ محتويات كيس النقود على السيارة البيضاء ووقف العساكر والجنود ثلاثة صفوف وقام الضابط بإعطاء كل واحد منهم ورقتين من فئة العشرين جنيها ..

وتجمع صف آخر يحتوى على السائقين والمخبرين وحراس نائب المدير يتقدمهم حارسى الخاص أبو بخلول فقام ضابط أمن الدولة بإعطائهم أربع ورقات من فئة عشرين جنيها لكل واحد منهم.

★ ★ ★

عندما عدنا إلى النقطة لاحظت ان ضابط المباحث لم يتكلم قط وكان يمسك ببندقية من البنادق التى عثرنا عليها بيده دون ان ينطق بكلمة واحدة . وقبل ان يجلس ناول البندقية لواحد من المخبرين دون كلام ..!

اقتربت منه وسألته عما به فقال :

– أبدا .. فقط لم أتمكن من صلاة الفجر ..!

نظرت إليه نظرة طويلة وتأملته . ولاحظت انه أشاح بوجهه بعيدا عنى ، وأيقنت أن ثمة تغييرا حدث لهذا الشاب وأنه ينبغى ملاحظته جيدا ..

وقررت ان أقترب منه أكثر وقلت له :

– اعمل حصر بالمضبوطات . وجهز الاخطار لأنك أنت المختص والواقعة تابعة لاختصاصنا المكانى.

قال وهو مطرق للأرض :

– مدير المباحث موجود .

سألت مدير المباحث فقال :

– اسأل نائب المدير.

وفعلا اقترب من نائب المدير وأخبرته عما اذا كان من الضرورى عمل اخطار وحصر بالمضبوطات فنظر إلىّ نائب المدير نظرة طويلة وقال وعيناه مركزتان علىّ .

– بعدين

وبعد ان قدم له عسكرى النقطة كوب الشاى قال :

– كفاية كده نروح ننام ..!

تم التحميل من مكتبتي

٢ سبتمبر

دخلت مكتبى فى الثانية ظهرا ..

الأمور اليومية لأحوال المركز تسير بطريقة طبيعية.. رأيت طابورا أمام شباك لبيع طوابع الشرطة، وتجمع بسيط لبعض المواطنين وعسكرى يمسك بأصابع أحدهم وبعضها على الأوراق ، وكان هؤلاء من أصحاب صحف الحالة الجنائية ومعظمهم من المتعلمين وفيهم سيدة وقفت بعيدا عنهم ..

أما فى النوبتجية . البلاغات قليلة. البلاغات التى نهتم بها هى بلاغات السرقات بالاكراه وهى منتشرة بطريقة شديدة فلا ينقضى يوم إلاَّ ويأتى بلاغ عن عصابات تنتظر عودة القادمين من الخارج وتستولى عنوة على ما يحملون من أمتعة . وبعض العصابات تطلب النقود فقط .

وقد أخبرنى أحد المواطنين أن كل عائلة لديها ابن عائد من الخارج ، فإنها ترسل إليه أربعة بالأسلحة لانتظاره فى المطار. وكان الرجل يشكو من خطورة ذهاب هؤلاء الى القاهرة ومعهم السلاح والانتظار عند المطار ! .

ولكن قال :

– على العموم ربنا بيستر .

دخل نائب المأمور ومعه الاخطار الذى سيخطر النيابة عن أحداث فجر اليوم وكان الاخطار عبارة عن بلاغ من مجهول بوجود ثلاث جثث فى المكان الذى كنا فيه .

وبعد أن قرأت البلاغ طلبت منه أن يثبت ساعة تلقيه البلاغ من مجهول وبعد ذلك يرسله للنيابة .

ثم اخبرنى نائب المأمور أن أحد المواطنين أبلغ أن نجله غرق فى ترعة الابراهيمية ، وأنه بعد استخراج الجثة بعد غرقه بثلاثة أيام وجده ، مقتولا .. !

طلبت من نائب المأمور أن يحرر محضرا يسأل فيه الرجل عن أقواله وينتقل لمعاينة الجثة ويخطر النيابة .

نظر إلىّ نائب المأمور وابتسم .

فهمت أنه يحاول أنه يذكرنى أن هذا ليس عمله.. إذ كان ينبغى تكليف ضابط منوب المركز أو المعاون . وفعلا كلفت معاون المركز وطلبت من نائب المأمور اخطار رئيس وحدة المباحث .

بعد نصف ساعة جاء أحد المخبرين وأبلغ رئيس وحدة المباحث بأن بعض أفراد الجماعات الاسلامية يتجمعون عند الجامع الكبير لعمل مسيرة للتنديد بأعمال الشرطة .. !! .

وعلى الفور تم ابلاغ مدير الأمن . وطلبت منه أن يرسل تعزيزا من القوات وذكرنى المدير بالتعليمات التى تمنع خروجهم بأى صورة من الصور . وكذلك منع الهتافات ..

اصطحبت العدد الكافى من القوات والضباط ورئيس وحدة المباحث وانتقلنا الى المسجد المذكور فوجدنا حوالى عشرة اشخاص يرتدون الملابس البيضاء ولهم لحى طويلة ، وفى أيديهم العصى الصغيرة أمرناهم بالانصراف ..

وفعلا تفرقوا ... !

وأثناء انصرافهم كانوا يرمقوننا بنظرات غاضبة .

وبعد حوالى ساعة جاءت القوات من المديرية وتم وضعها على مداخل الطرق المؤدية إلى المسجد وتفتيش السيارات الداخلة الى المنطقة والخارجة منها .

اتصل بى وكيل النيابة وأخبرنى أن والد الغريق الح اليه أن قوات الشرطة هى التى قتلت نجله قبل أن يغرق . وأن الرجل كان يبكى وأنه حاول تهدئته.. وبعد

حوالى ساعتين جاء الطبيب الشرعى وانتقل الى المستشفى حيث توجد جثث القتلى..

اتصل بى وكيل النيابة مرة ثانية، وكانت الساعة تقترب من الرابعة عصرا وتكلمنا فى موضوع الجثث الموجودة فى المستشفى ، وأخبرنى أنه بصراحة يشك فى رجال الشرطة .

وكنت أعرف أنه ليس لديه دليل واحد يستطيع أن يبنى عليه اتهامه الصريح للشرطة . وتكلمنا فى موضوعات كثيرة وقد عرفت منه أنه من أبناء القرية المجاورة لقريتنا فى مركز ايتاى البارود . وتبادلنا الشكوى من الغربة ، ومن الطعام الردىء، والبعوض الذى يمص الدم والذباب الذى يتكاثر على رائحة المضادات التى ترشها فى الجو. وتكلمنا عن فيلم جنس تم فى القاهرة لمدة ثلاثة أيام وتم منعه بحكم من المحكمة وأكد لى أنه شاهد هذا الفيلم وليس فيه ما يستحق المنع ، وأخبرنى أن زميله رئيس نيابة الآداب يجهز الآن عريضة اتهام ضد صاحب السينما وأبطال الفيلم وكنت أعرف أنهم أجانب فقط مدير وصاحب السينما هو المصرى .

بعد أن وضعت السماعة اتصل بى مدير المستشفى العام الموجود فى مشرحتها جثث القتلى الثلاثة واخبرنى أن أحد الأطباء تعرف على جثة . وقرر أمام الطبيب أنه يعرف القتيل معرفة جيدة .. !

وأخبرنى مدير المستشفى أن القتيل من نفس القرية التى منها الطبيب وأنه سيقوم بأخطار أهالى القتيل للحضور للمستشفى للتعرف على الجثة .

على الفور اتصلت برئيس وحدة المباحث وأخبرته بما سمعته. وطلبت منه ارسال المخبرين الى المستشفى للتأكد من ذلك . وأخبرنى رئيس وحدة المباحث بأنه فعلا سبقنى وأرسل المخبرين ..

اتصلت بمدير الأمن واخبرته بما سمعته فأمر بالاستعداد وعمل حساب اجراءات الدفن .. واحتمال حدوث ردود أفعال لأهالى القتيل عند الدفن .

وأخبرت رئيس وحدة المباحث بتعليمات المدير . وأخبرنى رئيس وحدة المباحث بأنه سيحضر لمكتبى .

وعندما جاء أطلعنى على أوراق قرأت فيها :

بمعرفتنا نحن المقدم محمد محمود رئيس وحدة المباحث

أثبت الآتى : (.....) ..

بناء على قرار النيابة العامة فى المحضر رقم ٣٣٣٣ ادارى المركز الخاص بالعثور على جثة المتوفاة عزيزة فنجرى اسكندر سن ١٧ سنة من ناحية بنى شنبر بطلب تحريات المباحث الجنائية والتى تتضمن بنودها ما يلى :

١ – فحص سير وسلوك المجنى عليها .

٢ – فحص سير وسلوك الأسرة المكونة من والد ووالدة وشقيقة المجنى عليها .

٣ – بث المصادر السرية لجمع المعلومات بين الاهالى .

٤ – إعادة فحص مكان العثور على جثة المذكورة للعثور على أى أدلة تفيد فى فك رموز الحادث .

وقد أوكلت الخطة الى ضباط مباحث المركز بالاشتراك مع ضباط فرع البحث الجنائى بالمنطقة .

وقد دلت التحريات أنه فى صباح يوم الجمعة ٨/٩ وعقب قيام والدة المتوفاة واسمها نورة جبرائيل لشراء بعض الاحتياجات من السوق. قامت المجنى عليها عزيزة فنجرى بمغادرة المسكن قبل استيقاظ والدها من النوم. وعند مناداته عليها فلم يجدها داخل المنزل وبعد فترة وجيزة حضرت المجنى عليها فحدثت بينها وبين والدها مشادة كلامية بسبب خروجها المتكرر دون علمه .

وحيث أن سلوك المجنى عليها ليس فوق مستوى الشبهات ، وأن سمعتها تلوكها الألسنة فى القرية فتعدت على والدها بالسب والشتم، وبادرت بالخروج من المنزل فأثار ذلك حفيظة والدها فتعقبها حتى تمكن من اللحاق بها بمدخل زراعات الموز المجاورة للسكن حيث أمسك بها وطرحها ارضا ووضع يديه على فمها حتى فارقت الحياة . وعندما تأكد من موتها قام بحملها متجها ناحية بئر الساقية المهجورة لمسكنه. وفى تلك اللحظة تصادف مرور المدعو عزيز اسكندر ينى سن ٥٠ سنة مزارع ومقيم ببنى شنبر حيث شاهد والد المجنى عليها حال قيامه بالقاء الجثة ببئر الساقية المهجورة .

وعندما استفسر منه عن سبب ذلك قرر له انها تعدت عليه بالسب والشتم . وحيث ذلك طلب منه المدعو عزيز اسكندر ينى أن يقوم بالابلاغ عن نجلته لابعاد الشبهات عنه وعقب ذلك مباشرة انصرف كل منهما إلى حال سبيله ..

وفى ظهر ذات اليوم الجمعة الموافق ٩ أغسطس قام بصحبة زوجته عقب عودتها من السوق حيث لم يفصح لزوجته عن قيامه بقتل نجلتها المجنى عليها بالاعلان بين الاهالى عن غيابها ..

– وفى اليوم التالى قام والدها بالابلاغ عن غياب نجلته لمركز الشرطة وقرر أن المجنى عليها تعانى من مرض نفسى وتكرر خروجها من المسكن دون علمه ولا يشتبه فى غيابها جنائيا إمعانا فى تضليل العدالة ...

وقد تحرر عن واقعة الغياب المحضر رقم ٣٣٣٣ ادارى المركز واقفل المحضر عقب اثبات ما تقدم للعرض على السيد وكيل النيابة للاذن بضبط كل من :

١ – فنجرى اسكندر مقار سن ٦٣ من بنى شنبر ..

٢ – عزيز اسكندر ينى سن ٥٠ من بنى شنبر ..

وهذا محضر بذلك ..

رئيس وحدة المباحث

مقدم (.....)

وبعد أن قرأت المحضر أعطيته وقلت :

– مبروك .. هذا هو عمل الشرطة الأساسى ..

ثم دخل «أبو بخلول» وخلفه امرأة ترتدى ملابس سوداء ولا يتجاوز عمرها الاربعين وأبلغتنى شفاهة أن ابنها اختفى منذ عشرين يوما وكان معى فى المكتب رئيس المباحث ونائب المأمور ...

طلبت من نائب المأمور أن يبلغ نقطة شرطة المستشفى بالاستعداد لحضورنا اليها وبالفعل انتقلت ومعى نائب المأمور ورئيس وحدة المباحث والمرأة المبلغة الى المستشفى .

عند باب المستشفى شاهدنا ثلاثة من النساء يرتدين الملابس السوداء وبمجرد أن شاهدن المرأة المبلغة صحبتنا حتى انضممن إليها وكان معهن رجل واحد عرفت انهم من جيرانها ..

اتجهنا مباشرة الى المشرحة .

فتح العامل الباب ، وبمجرد الدخول انبثقت روائح المطهرات الكريهة ، وكانت رائحة عفونة الجثث تطغى على كل روائح المطهرات .. !

رفع العامل قطعة قماش كانت بيضاء واصبح لونها أقرب الى لون أغطية السيارات المبرقشة وظهرت أسفلها إحدى الجثث المسجاة على القاعدة الخرسانية.

الجثة بها تمزقات من منطقة السرة والبطن فى الجانب الايمن.

وكانت تظهر بوضوح خيوط سحب الجلد التى اجريت دون عناية لقفل القطع الذى احدثه الطبيب الشرعى ... كانت الغرز متباعدة .

٥ سبتمبر

دخل عندى ضابط الترحيلات.. وهو يختص بالاشراف على عمليات ترحيل المحكوم عليهم والمعتقلين . وهو على قدر كبير من الذكاء، وقد أتقن مهنته بدرجة كبيرة يتمتع بجاذبية كبيرة فى الحديث. وانه من النوع الذى لا تمل الاستماع اليه وهو الى جانب ذلك يشرف على تأمين المحكمة الكلية لذلك فهو على علاقة طيبة بين الهيئة القضائية متمثلة فى رجال القضاء والنيابة فى دائرة المديرية .

صوته منخفض وعلى درجة عالية من الوسامة وشعره اشقر ، وقد اخبرنى انه ينحدر من أسرة لبنانية استوطنت مصر منذ زمن بعيد وأنه ورث عنها الوسامة . ورغم هذا فبامكانه السيطرة على المشاغبين والمتهمين وهم من أصحاب السوابق ومعتادى الاجرام ! .

وقد حكى لى عن المتهم الذى شرع وكيل النيابة فى استجوابه فاذا به يستخرج من جيبه خلسة شفرات حلاقة وقام بابتلاعها . وسال الدم من فمه وحلقه وشفتيه.

فنهض وكيل النيابة واقفا وقد اصابه الارتياع . فما كان من الضابط إلا أن هدأ من روعه. وقام ومعه ضباط من معاونيه باستخراج الشفرات من فم المتهم. وتم اثبات ذلك فى محضر رسمى .

وكانت تربطه صلة طيبة بهؤلاء .. !

وحكى لى أنه ذات مرة احتدم الخلاف بينه وبين زميل له يليه فى ترتيب الاقدمية ولكنهما أبناء دفعة واحدة . وكان زميله هذا يحنق عليه لهذا السبب . فما كان من الضابط إلا أن أوعز الى بعض المتهمين من معتادى الاجرام بأن زميله سيقوم بتأديبهم أثناء ترحيلهم من المحكمة صباح باكر . وقام بعد ذلك بيوم اجازة

فما كان من هؤلاء إلا الاضراب عن دخول قفص الاتهام أثناء المحاكمة وأحدثوا صياحا وهياجا شديدا وفشلت كل المساعى من أجل تهدئتهم فما كان من رئيس النيابة إلا أن اتصل بالقيادات المسئولة بمديرية الأمن – التى قامت بنقل الضابط على الفور .. ! .

وأخرج سيجارة من علبة سجائر مستوردة وقدمها لى وتناولتها بالرغم من كراهيتى للتدخين والمدخنين . اشعلها لى وتعمد الا يتكلم إلا بعد أن وضع الولاعة الذهبية فى جيب سترته الرسمية ثم اخرج الدخان من فمه وانفه ببطء شديد. وأخبرنى انه بالامس كان فى مأمورية ترحيل عشرة من المحكوم عليهم فى قضية تنظيم الجهاد بعد أداء الامتحانات التكميلية فى كليات الآداب والحقوق .. ! .

وسكت لحظة وقال :

– وهم لا يريدون الامتحانات بقدر رغبتهم فى مقابلة بعضهم بعضا . وابتلع كمية أخرى من الدخان وقال :

– وقام بعضهم بتجنيد بعض المراقبين من موظفى الجامعة . ولا أحد يعرف ماذا يكتبون فى أوراق الامتحانات . وأحيانا يكتبون رسائل ويضعونها في كراسات الاجابة .

قلت له :

– وهل وصلت الأمور إلى هذا الحد ؟

قال :

– وأكثر من هذا ..

قلت وأنا أحثه على الكلام :

– وماذا أكثر من ذلك ؟

قال :

– بعضهم تزوج وانجب اثناء فترة السجن .. !

قلت مستغربا :

– معقول ؟!

قال :

– بعينى رأيت الأولاد المسجونين وهم اطفال تحملهم امهاتهم وبعض هؤلاء الصغار كانوا يلعبون داخل فناء السجن يوم الزيارة وفى المواسم والاعياد. وكل ضباط السجون يعرفون هذا الموضوع .

قلت له :

– وكيف يتم ذلك ؟

قال :

– معظم هؤلاء من المحكوم عليهم فى قضايا سياسية . وخلال الفترة التى اعقبت اغتيال السادات بدأ بعض الضباط والحراس فى التعاطف معهم . وبالمناسبة بعضهم يتمتع بصفاء ذهنى غريب ومقدرة هائلة على الجدل والاقناع. وهم يحفظون القرآن وكتب الاحاديث والشريعة .. وكان الحراس يتعاطفون معهم ويسمحون لهم بالانفراد بزوجاتهم اثناء الزيارة ويتولى اقاربهم اثناء الزيارة احكام الخلوة ! .

وتذكرت اننى فى بداية خدمتى تم تعيينى لحفظ الامن والنظام أثناء ترحيل طائفة من الاشقياء من سجن طره الى سجن انشئ حديثا فى وادى النطرون وكان كل سجين مقيد بقيد حديدى ذى حلقتين ، وتكون إحدى الحلقتين فى يد السجين والأخرى فى يد الحارس .

وكانت زوجاتهم واقاربهم ينتظرونهم خارج السجن وجاءت سيارة السجن ووقفت استعدادا لركوب المساجين .. وعندما فتح باب السجن إندفع أقاربهم ومع كل منهم زيارة عبارة عن أكل . ورأيت بعضهم وهو يقوم بفض لفافة الورق التى

أعطتها له زوجته بيد واحدة واخرج منها بيضا مسلوقا وأخذ يلتهم البيض واحدة واحدة دون تقشير. وكان يقوم بازدراد البيض دفعة واحدة . ورأيت آخر وهو يقضم دجاجة مشوية أعطيت له دون أن يلفظ من عظامها شيئا ! .

وتحدث معى الضابط عن المسجونات وأخبرنى أنه عندما تظهر اعراض الحمل على مسجونة قضت بالسجن مدة أكبر من المدة اللازمة للحمل وظهوره عليها فإنه على الفور يتم استجوابها عن ظروف هذا الحمل . ويتم ايضا استجواب مأمور سجن النساء . وأخبرنى أن قاعات المحاكم تشهد الآن نزاعا حول واقعة حدثت اثناء ترحيل مسجونة من سجن القناطر إلى إحدى نيابات الصعيد .

ويبدو أن هذا الضابط يعرف هذه الوقائع جيدا ولا استغرب أنه كان طرفا فيها وشرع يحكى عن المسجونة التى ضبطت فى قضية دعارة وحكم عليها بالحبس ثلاث سنوات . وبعد أن أمضت ستة شهور فى السجن حدث أن تم ضبط شبكة تديرها سيدة فى احدى محافظات الصعيد وقالت المتهمة أن المسجونة كانت ترسل إليها الزبائن من السجن .. ! .

وأن المسجونة كانت ترسل الزبائن ومعهم خطابات موقعة منها بأنها قبضت منهم فى القاهرة عن طريق وكيل خاص كان يتردد على المسجونة .

واستدعت النيابة فى الصعيد المسجونة من محبسها وتم نقلها فى سيارة من الترحيلات مخصصة لنقل المسجونين . وكانت القوة المعينة لحراستها برئاسة أمين شرطة ومعه مساعد شرطة فى سن الستين وسائق السيارة وجندى ، وكان مساعد الشرطة قد أبدى تبرمه من هذه المأمورية البعيدة وعلل ذلك بأن صحته لا تتحمل الجلوس الطويل والسهر . وصارح أمين الشرطة بما يعتمل فى صدره فما كان من الأخير إلا أن اذن له بالتوجه الى منزله بعد تحرك المأمورية من السجن وبعد أن يثبت قيامها فى دفتر احوال السجن .

وعند خروج المسجونة من السجن قالت إحدى السجانات لأمين الشرطة :

– البنت طرية ومشتاقة .. !

وقال أمين الشرطة :

– فى الحفظ والصون .

ولمح أمين الشرطة نظرة فضولية فى عين السائق فيها تأكيد الحضور والتواجد، ولكنه لم يتكلم . . وقام بتشغيل السيارة وانطلق بعد وضع المسجونة فى الصندوق الخلفى للسيارة واغلاق باب الصندوق بالقفل ومفتاحه فى جيب امين الشرطة حسب ما تقضى به التعليمات .

وجلس أمين الشرطة بجوار الباب الايمن للسيارة والسائق فى مكانه الطبيعى امام عجلة القيادة وبينهما الجندى حديث العهد بالخدمة .

وبعد أن استقرت السيارة فى طريق الصعيد السريع بدأ رأس الجندى يميل على كتف أمين الشرطة. وبدأ أمين الشرطة يعيد حساباته . فقد ألمح له مساعد الشرطة أنه يريد نصيبه من الغنيمة نقودا . كما أفهمه المساعد المحنك أن المسجونة ليست ذات خطورة ولا يخشى هروبها ولكنها موسرة وتجرى النقود بين يديها غزيرة . وقال له المساعد ان مأمورية كهذه لن يقل نصيبه منها عن مائة جنيه. وأنه لولا اعتلال صحته فانه لم يكن ليدع فرصة كهذه تفوته ..

كما نبه مساعد الشرطة على أمين الشرطة أن يمنع عنها الزوار أثناء وصولها وأن يحترس فى معاملة صديقاتها اللاتى ينتظرنها عند محطة الوصول وألا يحاول منعهن باليد حتى لا تتهمه احداهن بجنحة هتك العرض !

كما حذره المساعد من الطمع فى جسد المسجونة.. لانه لو طمع فيها فلن يتمكن من أخذ مليم احمر منها وستكتفى بما تنازلت عنه .. !

ونام الجندى بين امين الشرطة والسائق .

وحكى لى الضابط عن الحوار الذى دار بين أمين الشرطة والسائق . وأنا هنا أسجله كما حكاه وباللفظ حسب ما قاله لى .

بدأ السائق الحوار قائلا :

– البنت دى باين عليها بنت عز .. !

وغمز السائق لأمين الشرطة الذى كان يحاول أن يرفع رأس الجندى عن كتفه ولم يرد لانه لم يستمع جيدا . وكرر السائق كلامه :

– البنت دى باين عليها بنت ناس ...!

وقال أمين الشرطة :

– فعلا . ويمكن تكون مظلومة .

وقال السائق :

– قضيتها بايظة ويمكن تطلع براءة ..

وقال أمين الشرطة .

– مش معقول ..

وقال السائق :

– قضيتها بعد عشرين يوم ..

وقال أمين الشرطة وقد تنبه تماما :

– وعرفت ازاى .؟

وقال السائق بخبث :

– هى قالت لى .

وقال أمين الشرطة :

– انت كلمتها ؟

– طبعا . طبعا ..

ثم ابتسم أمين الشرطة ، وقال :

- دمها خفيف .. !

وانحرفت السيارة ببطء نحو الجانب الايمن تحت ظلال اشجار عالية تطل من سور حديقة . وكان الجندى قد أغمض عينيه تماما تحت تأثير كوب شاى أعطاه له السائق من غرزة بجوار باب السجن وضع له فيه قرصا مخدرا ..

وعندما توقفت السيارة جعل امين الشرطة رأس الجندى المتدلى بجواره يستند على مسند الكرسى للخلف وبدا كما لو كان يرفع رأسه لأعلى وارتفع شخيره عاليا . ثم نزل من السيارة وفى يده مفتاح القفل وصعد السلالم الخلفية للسيارة وفتح باب الصندوق وغاب داخله والسائق يرقب الطريق بجوار السيارة وهو ينفخ دخان سيجارة محشوة بالحشيش . وكان السائق يضع اذنه على الصندوق من الخارج ويستمع الى ضحكاتها وهمهماتها مع أمين الشرطة . ولما علا صوتهما من الداخل ضرب بكفه على صاج الصندوق لاسكاتهما وللاستعجال ايضا. ولكنه ندم عندما لمح النائم يرفع رأسه قليلا ليعدل وضعه غير أنه عاود النوم من جديد ..

كان السائق فى تلك اللحظة يحاول أن يستعيد ذكرى كل البنات والسيدات اللاتى عابثهن او قابلهن فى ذاكرته حتى يجد الرغبة التى فرت تحت وطأة الجو الشديد وزمجرة السيارات على الطريق والضوضاء التى تحدثها فضلا عن الخلاء الواسع الامتداد بالاضافة الى العرق الشديد الذى بدأ يهطل منه .

ونزل أمين الشرطة وهو يعيد تسوية ملابسه العسكرية . وغمز للسائق أن يتقدم وصعد السائق الى السلم الخلفى . وهو يتعجب من تلك الحالة التى داهمته وعطلت الرغبة عن الانبثاق فى الشعور وفتح الباب وهو يفكر فى الفاحشة المزمع على ارتكابها وفتح الباب ودخل وأغلقه . ورآها وهى ترفع ثياب السجن البيضاء الواسعة تكشف عن ساقين ورأى نقطة التقائهما سوداء. وشعر بغثيان لم يألفه من قبل. وحاولت هى مساعدته ولكنه بدا وكأنه صبى لم يبلغ الحلم . وبدأت تهمس فى

أذنه بكلمات مشجعة . ولكنه لم يتحرك فركلته بقدمها وكانت ركلة قوية دفعته لخارج الصندوق .. !

وكان أمين الشرطة متحفزا . وحاول الصعود مرة ثانية . ولكن السائق منعه بعنف .

وبدأت السيارة فى الحركة والسير من جديد . وبعد فترة بدأ الجندى يحرك رأسه شيئا فشيئا .. بدأ يفيق ..

وبدأ السائق يفكر فى أمره وبدا له أن قوة خفية منعته من وطئها . وأن الله اراد له ألا يتدنس خصوصا وأنه ينطلق على «كف الرحمن» .. فى طريق لا يرحم.. وأيقن ان العناية الالهية فقط منعته وبدأ يفكر فى أمين الشرطة النجس الذى لم يغتسل من عذر الجنابة والمرأة التى فى الصندوق النجسة أيضا .

وبدأت أذناه تسمعان اجراسا عنيفة . وخيل إليه أن حيات ضخمة تلتف حول عنقه وتظهر له لسانها المفرطح .

وعندما وصل الى السجن الذى ستنزل فيه المسجونة.. لم ينزل من السيارة وترك أمين الشرطة يتولى كل شىء ابتداء من قبض ثمن توصيل الامتعة لها والنقود .

وفى طريق العودة أعطاه الأمين تسعين جنيها .. !

وحكى لى الضابط ان السائق عندما رجع الى منزله وأعطى زوجته المحصول ونام بجوارها ناسيا رغبتها فيه ، هب من نومه بعد منتصف الليل مذعورا وقال :

– يا أبانا الذى فى السماوات ..

وقالت له زوجته وقد هبت مذعورة أيضا :

– فيه حاجة يا أبو سريانه ؟

وفى الصباح توجه الى مأمور السجن وحكى له عن كل شىء .

وفيما بعد رفض ألفى جنيه قدمها له أمين الشرطة للعدول عن أقواله .. !

تم التحميل من موقع

٨ سبتمبر

جاء ضابط مباحث المركز وقدم لى اوراقا .. قلبتها فوجدتها عبارة عن صورة من تحقيقات النيابة العامة فى المحضر رقم (....) ادارى المركز وقرأت :

فتح المحضر يوم ٩/٧ الساعة ٢,٣٠ بسراى النيابة

بالهيئة السابقة ..

حيث كان اليوم موعدا للتحقيق ..

أشرنا على المحضر الوارد من مركز الشرطة بالنظر والارفاق .

وبمناسبة وجود المتهم فنجرى اسكندر مقار خارج غرفة التحقيق فقد اخرجنا الرائد محمد محمود خارج غرفة التحقيق، ودعونا المتهم فنجرى اسكندر مقار داخلها ..

وبمناظرة المتهم ألفيناه رجلا فى العقد السادس من عمره، يرتدى الملابس البلدية وهى عبارة عن جلباب ازرق غامق بفتحة واسعة دائرية عند الصدر تتدلى منها فتحة طويلة حتى قرب البطن . ويوجد بالجانب الايمن من الجلباب جيب وفتحة سيالة جانبية يسرى .. اسفل الجلباب صديرى لونه لبنى من الامام.. له جيبان لونهما ابيض بخطوط طولية.. ومن الخلف ابيض . اسفل الصديرى فانلة مصنوعة من القطن نصف كم بيضاء عليها بقع صغيرة داكنة ، قرر لنا المتهم شفاهة انها مخلفات وبقايا حشرات القمل والبراغيث .. وأمرناه بخلع ملابسه. وألفيناه يرتدى سروالا أبيض طويلا حتى قدميه ولا ينتعل أى أشياء فى قدميه ، يضع شالا ابيض على رأسه وطاقية صوف سوداء .. وشعره ابيض قصير وله شارب ابيض ولحية خفيفة ..

والمتهم نحيف البنية اسمر اللون متوسط الطول ولا توجد علامات او اصابات ظاهرة تفيد التحقيق . وسألناه عما إذا كان لديه مدافع يحضر معه التحقيق فأجاب بأن كلا من الاستاذين ناجى حلمى شحاته وجمال عدلى مكين يحضران معه التحقيق .

وقد حضرا بالفعل وسددا دمغة المحاماة .

وعليه شرعنا فى سؤاله بالآتى أجاب :

اسمى فنجرى اسكندر مقار سن ٦٣ سبق سؤاله .

س : ما قولك فيما هو منسوب اليك من انك متهم بقتل نجلتك عزيزة فنجرى اسكندر عمدا مع سبق الاصرار والترصد وذلك بأن بيت النية وعقدت العزم على ذلك .. وما إن ظفرت بها حتى كممت فمها . فحدثت بها الاصابات الواردة فى الاوراق والتى اودت بحياتها ؟

جـ : ايوه حصل .

س : ما تفصيلات ذلك ؟

جـ : من حوالى ثلاثة شهور أو أكثر بنتى عزيزة مخها كان تعبان وفيه حاجات مسكتها فى مخها وقعدت تبكى على طول وبعدت عن الحريم والناس وقعدت لوحديها فأنا كذا مرة أروح أكلمها اقولها اوديكى للحكيم واللا الدكاترة او القسيس فى الكنيسة وبعدين هى مترضاشى وكانت تزعق فينا وتقول : متضيعوش الفلوس على الفاضى .. لكن أنا رحت بيها الدير المحرق والبهنسا عند السبع بنات ومفيش فايدة وكل ما نيجى نقولها روحى للدكتور تقول : اقطعوا رقبتى وما اروحشى للدكتور ، وكانت زى ما تكون خايفة حد يكشف عليها ويعرف عنها حاجة .. فأنا شكيت . وكمان كانت تروح جناين الموز وتغيب ييجى ساعة واتنين وتلاته .. فأمها كشفت عليها لقيتها مش بنت ...

وبعدين أمها سألتها وهى مردتش عليها ولا قالت لأمها مين اللى عمل فيها كده وفعل فيها الوحش ... وأنا عرفت الكلام ده من أمها . ونويت أخلص عليها ... وبعدين يوم الجمعة أمها راحت السوق تجيب كيلة دره شامى من السوق فى البلد فأنا لقيت البنت جاية وسألتها أمك فين يابت ؟ قالت : راحت السوق تشترى شامى ..

وأنا كنت عم أحش الحشيش للبهايم ووديته البيت وأول ما جت أنا سألتها :

– كنتى فين ؟

قالت :

– انت مش من اختصاصك تسألنى .

أول ما قالت كده أنا جريت وراها . وهى جرت قدامى ناحية زراعة الموز فأنا حصلتها هناك فهى راحت واقعة على الأرض ورحت بارك عليها وكاتم نفسها ورحت بعد ما ماتت شلتها على كتفى ورايح بيها على الساقية ورميتها فيها ورحت مغطى الساقية تانى بالقش والبوص .. لكن وأنا جاى بيها وشايلها من الموز ولسه ما كنتش رميتها فى بير الساقية شافنى واحد اسمه عزيز اسكندر ينى وكان واعيلى وشافنى وأنا شايل البنت فقال لى :

– ليه كده ؟

قلت له :

– بنتى وأنا حر فيها وأعمل فيها زى ما أنا عايز .

وراح سابنى وجرى وأنا رحت راميها جوه بير الساقية ، ومحدش شافنى وأنا بارميها جوه بير الساقية وأمها لما جات من السوق سألتنى عن البنت قلت لها :

– تاجى دلوقتى .

ومقلتلهاش أنا عملت فيها إيه . وفى اليوم نفسه بعد أمها ما جت قعدنا ندور

مع الناس عليها جنب البيت وفى الزرع والبحر الكبير مالقيناش أثرها وبعدين فيه ناس سألتنى :

– انت بلغت الحكومة عليها ؟

قلت لهم :

– لع .

فأنا رحت المركز بلغت انها غابت عن البيت وأنا عارف انى قتلتها ورميتها فى الساقية وفضلت كل يوم أدور وأبرم مع الناس لغاية ما كان فيه حريم قاعدة فى البيت عندنا وبعدين شافوا الكلب قاعد يشمشم عند الفتحة الصغيرة بتاعة الساقية. فلما قربوا من الكلب شموا ريحة عفونة طالعة من الساقية . ففتحوا وبصوا فيها لقيوها .

فالحريم زعقت والناس اتلمت والرجالة جت وشافوها وبعدين حبوا يطلعوها . قالوا لازم الحكومة تعرف وتيجى تشوف.

وفعلا الحكومة جات وطلعتها من البير . ولما سألتنى النيابة في الأول قلت معرفش ماتت كيف . لكن أنا جيت هنا أقول الحقيقة اللى تخلصنى من ربنا وضميرى وده كل اللى حصل .

س : متى وأين حدث ذلك ؟

جـ : يوم الجمعة فى النهار الصبح فى بنى شنبر.

س : ما هى الحالة التى انتابت ابنتك المجنى عليها منذ ثلاثة شهور ، وماكانتش ترضى تقعد مع الناس وتقعد طول النهار تبكى ..؟

جـ : هى كان مخها تعبان وذاكرتها كانت ضعيفة وماكنتشى ترضى تقعد مع الناس وتقعد طول النهار تعيط .

س : وهل كانت تلك الحالة ملازمة لها خلال تلك الفترة ؟

جـ : الحالة دى كانت عندها على طول من تلات تشهر.

س : ما سبب ذلك .. ؟

جـ – هى لما خالتها ماتت ومعاها ولدها فى حادث عربية ، بعد كده بشهرين ونص جت لها الحالة دى .

س : ألم تطلب منك المجنى عليها التوجه بها إلى إحدى المصحات أو الأطباء للعلاج ؟

جـ : لع .. ولما كنا نقولها نوديكى للدكتور كان يركبها عفريت.

س : ألم تصحبها إلى أحد الأطباء لعلاجها ؟

جـ : لـع .

س : ولماذا ؟

جـ : كانت ترفض وتتجنن أكتر.

س : ألم تحاول أنت أو أحد من أقاربك أو أفراد الأسرة الاستفسار من المجنى عليها عن سبب انطوائها وعزلتها ؟

جـ : لـع .

س : ما الذى فعلته عقب مشاهدة نجلتك على تلك الحالة ؟

جـ : أنا رحت بيها مع أمـها الدير المحرق عند الكهان ورحت بيها دير جبل الطير فى سمـالوط ، ودير المارجرجس والأنبا شنودة فى سـوهاج ، ورحت بيـها البهنسا عند السبع بنات بتوع المسلمين لكن مفيش فايدة .

س : بماذا تفسر رفضها العلاج ..؟

جـ : أنا عرفت من امـها بعدين ان هى ماكنتشى بنت وان فيه حاجة حصلت فيها وحد فعل الفاحشة فيها .

س : وكيف استطاعت والدة المجنى عليها معرفة كون المجنى عليها ثيبا؟ – (أفهمناه المقصود من السؤال).

جـ – أمها كشفت عليها فى البيت وهى نايمة لما لقيتها ترفض تروح للدكاترة . وأنا كمان شكيت فيها لما كانت تروح جناين الموز والزرع وتغيب ياجى ساعة وأكتر.

س : ألم تستفسر والدة المجنى عليها عمن فعل بها ذلك ؟

جـ – أمها سألتها والبنت مرضيتش تقول لكن أمها شكت فى الواد اللى مات فى حادثة عربية مع أمه .

س : من هو المقصود ؟

جـ : ولد اسمه مرقص حنا شفيق واد خالتها وهو مات فى حادث من تلات شهور هو وأمه .

س : هل أبلغتك زوجتك بما اكتشفته بنجلتها ؟

جـ : أيوه قالت لى .

س : بماذا أبلغتك زوجتك تحديدا ؟

جـ : قالت لى البنت خربانة خالص وفيه حد فعل فيها .

س : ألم تستفسر من نجلتك عن صحة ما أبلغتك به زوجتك ؟

جـ : مسألتهاش .

س : ألم تحاول التأكد من صحة ما أبلغتك به زوجتك بالتوجه بها إلى أحد الأطباء لتوقيع الكشف الطبى عليها ؟

جـ : لـع .

س : كيف تأكدت من صحة ما أبلغتك به زوجتك ؟

جـ : البنت كان باين عليها . وشكلها متغير وأمها تدرى بالموضوع ده وهى اللى كشفت عليها وعرفت .

س : ما هو الأثر النفسى الذى تولد لديك إثر ما أبلغتك به زوجتك بما اكتشفته فى نجلتك ؟ (أفهمناه).

جـ : أنا كنت لا قادر اشتغل ولا قادر أطلع من البيت وكنت حاسس بفوران طالع من قلبى وجسمى بقى يغلى علشان ده عارى وشرفى وأنا نويت أخلص عليها أول ما عرفت الكلام ده .

س : ما الذى نويته تحديدا ؟

جـ : نويت أخلص عليها وأموتها .

س : ولماذا ؟

جـ : علشان أغسل عارى واشيل الهم اللى جواى .

س : ألم تشاهد نجلتك مع أحد فى زراعات الموز التى قررت انها كانت تتوجه إليها ؟

جـ – كنت أروح وراها . لكن تكون مشت . ومقدرتش أوصل لحاجة وما شفتهاش مع حد .

س : هل تتهم أحدا بفعل ما فعل مع نجلتك ؟

جـ : ربنا هو اللى عالم ، والكدب خيبه والظلم حرام.

س : ذكرت أنها كانت على علاقة بابن خالتها ؟

جـ : هى زعلت عليه . علشان أم الولد ده اللى هى خالتها كانت عايزة تخطبها للولد .

س : ما اسمه وصناعته وعنوانه ؟

جـ : اسمه مرقص حنا شفيق وأمها وأمه كانوا عايزين يجوزوهم .

س : هل خطبها بالفعل ؟

جـ : لع وشرفك انت يا بيه .

س : ما دليلك على صدق ما تقول ؟

جـ : العلم عند ربنا هـو اللى عالم بالحقـيقة كلـها . أنا خلاص . تعبت قوى يا بيه .

س : هل بإمكانك مواصلة التحقيق ؟

جـ : أنا عايز أكمل واخلص .

س : متى انتويت قتل نجلتك والخلاص منها ؟

جـ : أول ما مراتى قالت لى ان البنت خربانة ومهياش بنت بنوت . وكان الكلام ده من شهرين.

س : ألم يتبادر إلى ذهنك عندئذ كيفية تنفيذ ما انتويته لنجلتك ؟

جـ : أنا من ساعة ما قالت لى أمها وأنا نويت عليها بكتم نفسـها فى أى مكان علشان متزعقشى وأرميها فى الساقية.

س : ولم اخترت أن تقوم بإخفاء جثتها حينما تولدت لديك فكرة القتل فى بئر الساقية علما بأنه بجوار مسكنك ؟

جـ : وايه يعنى ؟ تتعرف تتعرف . زى بعضو . أنا اللى قتلتها علشان محدش ينتهم فيها غيرى . لكن لو سبتها فى الغيط يمكن حد غيرى ينتهم فيها وينظلم .

س : كان سلوكك منذ الابلاغ عن تغيب نجلتك وكذا الابلاغ عن العثور على جثتها . وكذا بسؤالك فى التحقيقات في الأول التنصل من ارتكاب الواقعة . فى حين أنك الآن تعترف وتقرر أنك رأيت القاء الجثة فى بئر الساقية الموجودة بجوار منزلك لكى لا يتهم آخرون فى ارتكاب الواقعة . وليسهل التعرف على مرتكب الحادث . فما تعليلك على ذلك التناقض ما بين مسلكك من بداية التحقيقات والذى يختلف مع ما توارد إلى ذهنك قبل ارتكاب الحادث وحال تولد فكرة كيفية التخلص من نجلتك ؟

(أفهمناه السؤال) .

جـ : أصل الواحد ميصحش يعترف بالمصيبة دى بالساهل وفى دقيقة واحدة من أول مرة وأنا قلت أرميها في البير لأنه المطرح اللى كان فى دماغى ساعتها ومفيش غيره .

س : ألم تحدد ساعة معينة فى ذهنك لتنفيذ ما توارد فى ذهنك عن فكرة القتل الذى انتويته لنجلتك ؟

جـ : لع محددتش ساعة بذاتها . لكن قلت فى أى وقت يكون محدش قاعد ويشوفنى.

س : وهل تحقق هذا الموعد ؟

جـ : أيوه كان يوم جمعة الصبح الساعة عشرة.

س : هل كان هذا الموعد هو الذى قررته لارتكاب الجريمة أم أنه جاء بالمصادفة ؟

جـ : لع . المعاد جه بالصدفة ومحدش كان موجود معايا .

س : ما الذى فعلته صباح الجمعة قبل تنفيذ الجريمة ؟

جـ : أنا صحيت من النوم الصبح وأخذت شكارة فاضية ورحت أجيب شوية حشيش أخضر للبهايم وسبت مراتى والبنت نايمين فى البيت ومكنش معاهم حد خالص .

س : ما هى المسافة بين مسكنك وبين الحقل الذى توجهت إليه لاحضار الحشيش منه ؟

جـ : ياجى أكتر من تلاتين قصبة .

س : متى توجهت إليه تحديدا ؟

جـ : رحت مع طلوع الشمس .

س : ماذا فعلت بعد ذلك ؟

جـ : أخذت شكارة الحشيش ورحت بيها للجاموسة فى الحوش الغربى وحطيته ودخلت البيت .

س : مع من تقابلت بعد ذلك ؟

جـ : مكنشى حد فى البيت لكن بعد شوية لقيتها جايه من بره .

س : ما هى الجهة التى كانت قادمة منها ؟

جـ : كانت جايه من زراعات الموز.

س : هل كان برفقتها أحد آنذاك ؟

جـ : لع ، كانت لوحدها .

س : ما هى الحالة التى كانت عليها ؟

جـ : كانت ماشيه عادى مفيش حاجه .

س : أين كانت زوجتك ؟

جـ : كانت فى السوق تشترى شامى . وساعة ما رجعت أنا ومعاى الحشيش ما كانتشى فى البيت.

س : وكيف عرفت أن زوجتك فى السوق ؟

جـ – هى كانت قالت لى فى الليل انها هتروح السوق تشترى كيلة شامى .

س : هل دار حوار بينك وبين المجنى عليها ؟

جـ : أيوه .

س : ما مضمون هذا الحوار ؟

جـ : أنا سألتها :

– أمك فين ؟

قالت :

– راحت السوق تجيب شامى .

- كنتى فين يا بت ؟

قالت :

- انت مش من اختصاصك تسألنى .

وكان وشها مقلوب وهى بتكلمنى .

س : هل اعتادت نجلتك الحديث معك بهذه الطريقة ؟

جـ : أيوه . من ساعة ما جت لها الحالة دى .

س : ما الذى فعلته اثر أن أبلغتك نجلتك بالجهة التى توجهت إليها والدتها . وكذا اثر إجابتها بعدم اختصاصك لسؤالها عن الجهة القادمة منها؟

(أفهمناه السؤال) .

جـ : أنا ضربتها قلم على وشها وهى جرت قدامى .

س : ما الذى فعلته نجلتك بعد ذلك ؟

جـ - هى جرت ناحية زراعات الموز . وأنا دخلت وراها جنينة الموز لغاية هى ما عترت فى الأرض ووقعت رحت بارك عليها.

س : ما هى المسافة التى تبعد ما بين مسكنك والمكان الذى تعثرت فيه ؟

جـ : ياجى خمس أو ست قصبات.

س : ما الذى دعاك إلى تعقبها ؟

جـ : علشان أخلص عليها .

س : ما الذى كان يراودك اثر عدوك خلفها ؟

جـ : الحقيقة أنا كان جواى أخلص عليها . وجه معاد الخلاص.

س : صف لنا الطريق الذى سلكته المجنى عليها وأنت خلفها حال عدوكما ؟

جـ : احنا جرينا من قدام البيت . وبعد كده جرينا فى الخلا. وبعدين جرينا فى الزرع.

س : ألم يكن أحد من الجيران أو المزارعين بجوار مسكنك أو فى زراعات الموز ؟

جـ : لع مكنشى فيه حد موجود ساعة ما كنت بأجرى وراها . لا قدام البيت ولا فى الزرع .

س : ما الذى دعا نجلتك إلى الجرى ؟

جـ : جرت لما لقيتنى ضربتها على وشها .

س : ألم تردد عبارات حال عدوك خلف نجلتك يستشف منها ما أضمرت لها من نية ؟

(أفهمناه السؤال)

جـ : لع ومتكلمتش خالص .

س : ألم تستغث نجلتك بأحد ؟

جـ : لـع .

س : ما الذى فعلته حال تعثر نجلتك ووقوعها على الأرض ؟

جـ : رحت بارك عليها .

س : ولماذا فعلت ذلك ؟

جـ : علشان أموتها .

س : ألم تقاومك المجنى عليها ؟

جـ : هى قعدت تفرفط برجليها لكن فضلت كاتم نفسها لغاية ما خلصت عليها وماتت.

س : ما قصدك من تكميم فاه المجنى عليها ؟

جـ : قصدى أموتها .

س : ما سبب ذلك ؟

جـ : أغسل عارى .

س : ما الذي فعلته بعد أن تأكدت من موت نجلتك ؟

جـ : شلتها وحطيتها على كتفى ومشيت بيها .

س : إلى أين توجهت ؟

جـ : أنا طلعت بيها على الساقية على طول .

س : ألم يقابلك أحد ؟

جـ : قابلنى واحد اسمه عزيز إسكندر ينى .

س : ما علاقتك به ؟

جـ : بلدياتى وكان موجود بالصدفة .

س : هل شاهدك سالف الذكر حال حملك لجثة نجلتك المجنى عليها ؟

جـ : أيوه شافنى .

س : هل دار حوار بينك وبين عزيز اسكندر ينى ؟

جـ : هو قاللى :

– ايه ده يا فنجرى ؟

فأنا قلت له :

– بنتى وأنا حر فيها .

س : صف لنا كيفية حملك للمجنى عليها بعد أن أجهزت عليها .

جـ : أنا كنت شايلها على باطى ودماغها لورا . ورجليها مدلدلة قدامى.

س : ألم تخش أن يشاهدك أحد حال حملك المجنى عليها ؟ /

جـ : المطرح كان فاضى خالص ولا فيه انس ولا جنس . فانا قلت أخلص عليها فى الساعة دى لكن ما كانشى فى بالى ان حُد هيشوفنى.

س : ما الذى دعاك إلى القاء المجنى عليها فى الساقية ؟

جـ : علشان ما اتهمشى حد ولا حد يتهمنى فيها وأدارى الفضيحة.

س : ومتى عادت زوجتك إلى المنزل ؟

جـ : هى رجعت بعد ما رميت البنت فى الساقية .

س : هل دار حوار بينك وبين زوجتك آنذاك ؟

جـ : أيوه هى سألتنى عن البنت ، وأنا قلت لها زمانها جايه من بره .

س : هل انتظرت زوجتك لمدة معينة لحين عودة نجلتك للمنزل كما قررت ؟

جـ : لع . وهى بعد ما حطت الشامى فى البيت طلعت تدور عليها وملقيتهاشى وأنا طلعت أدور عليها معاها والناس فى البلد كمان طلعوا يدوروا عليها.

س : هل كانت زوجتك تعلم بما أضمرت لابنتك عقب أن أبلغتك بأن نجلتك أصبحت ثيبا؟

(أفهمناه السؤال شفاهة).

جـ : لع . ماكانتشى عارفة حاجة خالص .

س : ألم تبلغها عقب قيامك بقتل نجلتك بما ارتكبته ؟

جـ : لـع .

س : هل كان اعترافك هذا بمحض ارادتك ؟

(أفهمناه السؤال).

جـ : أيوه بمزاجى وراحتى أقول الكلام ده .

س : هل أجبرك أحد على الاعتراف ؟

جـ : لـع .

س : ما قولك فيما جاء بمحضر التحريات ؟

(قرأناه عليه) .

جـ : أيوه كل اللى سمعته صحيح . وعزيز اسكندر شافنى وأنا بارمى البنت

لكن مقلتلوش انى أنا قتلتها ، ولا قتلتها ليه، وأنا سمعت كلامه وبلغت لكن هو قال لى لازم تبلغ عن نفسك انك إللى قتلتها . ولو مبلغتش أنا هبلغ عنك . فأنا تانى يوم بلغت انها غايبة عن البيت .

س : أنت متهم بقتل عزيزة فنجرى اسكندر عمدا مع سبق الاصرار وذلك بأن بيت النية وعقدت العزم على قتلها فأحدثت بها الاصابات الموصوفة فى الأوراق .

جـ : أيوه حصل .

س : هل لديك سوابق ؟

جـ : لـع .

س : هل لديك أقوال أخرى ؟

جـ : لـع .

– تمت أقواله وتوقع منه ،

مـديـر النيـــابة

طلب الحاضر مع المتهم توجيه السؤال التالى للمتهم الماثل :

س : ما هى ظروف ضبطك واحضارك ؟

جـ – الحكومـة جات خـدتنى من البـيت وودونى على المركـز وبعـدين قـعـدوا يسألونى وبعدين جابونى هنا .

س : متى تم اقتيادك من المنزل ؟

جـ : معرفشى.

س : من الذى اقتادك لديوان المركز ؟

جـ : واحد من المخبرين مش عارف اسمه .

س : ما هى الفترة التى مكثت فيها فى المركز؟

جـ – معرفشى كام يوم.

س : هل كنت مقيد الحرية خلال تلك الفترة ؟

جـ : لع . كان الضابط بيجيب لى أكل وشاى وسجاير، وكنت قاعد معاهم.

س : هل لديك أقوال أخرى ؟

جـ : لـع .

تمت أقواله وبصم.

طلب الحاضران مع المتهم اخلاء سبيله بضمان محل إقامته أو أى ضمان مالى تراه النيابة ؛ وذلك لأن المتهم محل إقامته معروف ومعلوم وثابت. ولا يخشى عليه الهرب أو التأثير فى أدلة الدعوى . كما أن ضمانات التحقيق كفلتها النيابة العامة . كما أنه لم يكن هناك ثمة اكراه أو تأثير على المتهم. أما بالنسبة للدفوع فندفع ببطلان القبض ولكون المتهم داخل مركز الشرطة أكثر من المدة القانونية المحددة . أما ما جاء على لسان المتهم من أنه ارتكب جريمته بمفرده فإنه محل شك ومنازعة . كما أن الأسباب التى تدفع المتهم إلى ارتكاب الجريمة إن صح قيامه بها وعلى فرض ذلك هى التى ندافع عنها .

وانضم المحامى الثانى إلى دفاع زميله ببطلان الاعتراف الصادر عن المتهم لبنائه على اكراه معنوى بسبب المدة التى تم احتجازه خلالها داخل مركز الشرطة. كما دفع بعدم تصور حدوث الواقعة بالكيفية التى قيل إنها حدثت بها. وقرر بأنه لا يمكن للمتهم وقد جاوز الستين العدو خلف نجلته الشابة والامساك بها والاجهاز عليها بمفرده وكذلك حمل جثتها . وانضم إلى زميله وأقفل المحضر بعد اثبات ما تقدم وقررنا الآتى :

أولا : يحبس المتهم فنجرى اسكندر مقار أربعة أيام احتياطيا على ذمة التحقيق ويراعى التجديد له فى الميعاد ويحرر له فيش وتشبيه وتطلب صحيفة سوابقه.

ثانيا : يعدل عن ضبط واحضار عزيز اسكندر يني ويتنبه عليه بالحضور إلى سراى النيابة .

ثالثا : يطلب المتهم لاجراء المعاينة التصويرية صباح باكر .

رابعا : تطلب زوجة المتهم نورة وكذا ابنته ايزيس لجلسة تحقيق باكر الساعة ١٠ ص.

خامسا : يستعجل تقرير الصفة التشريحية .

مـــديـر النيـــــابة

.....

بعد أن قرأت صورة المحضر أخبرنى الضابط أن تقرير الطبيب الشرعى وصل ولاحظت أنه يطيل النظر إلى الأشياء وسألته :

– اطلعت على التقرير ؟

وسكت برهة وقال :

– لا ..

وقلت له :

– طبعا كل القوات لازم تضرب نار.

سألنى :

– لكن سيادتك ضربت نار فى الحملة ؟

قلت له :

ـ أنا ؟ !

قال :

– نعم . سيادتك .

– لكن أنا وسـيـادة اللواء ومـدير المباحث لم نسـتـعمل أسلحـتنا . لكن انت بتسأل ليه ؟

قال :

– أبدا . عادى .

والحق أن الأمر لم يكن أبدا عاديا .. !

فقد قام والد الشاب الغريق الذى عثروا عليه فى الترعة يوم ٢ سبتمبر بابلاغ النيابة بأن نجله مات مقتولا . وأن رجال الشرطة هم الذين قتلوه . وفعلا انتدبت النيابة الطبيب الشرعى الذى قام بتشريح الجثة.

وقد عرف ضابط المباحث أن تقرير الطبيب الشرعى قد أرسل للنيابة وجاء فيه أن المجنى عليه مات متأثرا بثلاث رصاصات اخترقت واحدة منطقة الظهر ومرت من خلال القلب ولها فتحة خروج متسعة والثانية فى لوح الكتف الأيمن واستقرت فى الرئة . والثالثة اخترقت قاع الجمجمة من أسفل الرقبة من الخلف وخرجت أعلى الأنف . وأن الرصاصة المستخرجة من عيار ٧ر٩٢ وهو نفس العيار الذى تستخدمه قوات الشرطة .

وكان المطلوب من رئيس وحدة المباحث أن يعد محضرا للتحريات يبين كيفية اصابة المجنى عليه وظروف اصابته .

وبعد نصف ساعة اتصل بى مدير الأمن وقرر أن يقوم رئيس وحدة المباحث بعمل محضر التحريات وأن يكون هذا تحت اشراف العميد مدير إدارة البحث الجنائى .

ثم اتصل مدير إدارة البحث وطلب من رئيس وحدة المباحث إعداد المحضر وأن يعرضه عليه. وعندما جاء عندى رئيس وحدة المباحث أطلعنى على التقرير الذى وضعه وقرر فيه أنه حدث تبادل إطلاق النار مما اضطر قوات الشرطة إلى إطلاق النار . وأن قوات الشرطة الموجودة قد أطلقت النار. وختم التقرير بأنه لا يمكن الجزم على وجه اليقين بالشخص أو الأشخاص أو السلاح الذى أدى إلى اصابة المجنى عليه.

وأخبرنى أنه سيرسل هذا التقرير للنيابة. وهناك سيدلى بأقواله حول هذا التقرير.

ولاحظت أن ضابط المباحث مستعجل على ارسال المحضر.

ففى الأحوال العادية كان مثل هذا التقرير يتأخر إلى أكثر من شهرين . وتقوم النيابة بالاستعجال أكثر من مرة ..!

ولم أعرف ماذا يريد هذا الضابط ...!

تم التحميل من مكتبتي

١٣ سبتمبر

من الاهمال أن أتحدث وأكتب عن هؤلاء الذين ذكرتهم دون أن أكتب عن عزيز .. أو الصول عزيز .. أو «شاويش الترابيزة» كما يطلقون عليه.

لاشك أنه يلوك الآن طاقم اسنانه قبل ان يتكلم ويقول:

– كانت ايامه سودا..

كتعبير عن كرهه الشديد لى. مع اننى والحق يقال لم أكرهه.

ففى الساعات التى يهدأ فيها أعوان ابليس يجد عزيز متسعا من الوقت ليغسل الكنكه ويضع فيها قليلا من البن الخاص به ويضعها على السلك الثعبانى المتوهج باحمرار.. ويرقب عزيز الكنكه بحذر شديد ثم يفتح درج مكتبه العتيق الذى لا يستجيب معه فى اول الامر ولكنه يضطر لاستخدام يديه وقدميه لجذب الدرج من مكمنه فى المكتب المتشبث به. ثم يخرج كوبين صغيرين ويصب القهوة التى اوشك سطحها اللزج على الفوران دون ان يغسل الاكواب.

قدم لى واحداً .. وكانت على سطح السائل طبقة داكنة . ولم اتردد فى الشرب امام إلحاحه:

– هو علشان انا حته صول فقير وسيادتك المأمور تكسفنى..؟

وبعد أن رشفت اول مرة قال:

– احسن من قهوة المجنون سمعان ..!

ثم ابتلع رشفة من كوبه بشغف.. وكانت الطريقة التى رشف بها رشفته تنم عن رغبات مستترة وكامنة تحت جلده الاحمر وبدنه القوى الذى لم تحطمه سنواته الخمس والخمسون وقال :

– على فكره سمعان مجنون رسمى. سيادتك تبص فى عينيه ..

وكان يتحدث عن عامل البوفيه ، وكنت لا أراه ولا أسمع عنه . لم يكن «أبو بخلول» يسمح له بالدخول لمكتبى بل كان يمنعه ويتناول منه صينية الشاى وعليها الاكواب ويدخلها الى...

....

نادى عزيز على سمعان..

وجاء سمعان ومعه صينية فارغة . لا شك ان وجودى فى غرفة الصول عزيز قد فاجأة. ولاحظت أن عينيه لا تكفان عن الدوران. وكانت شفته العليا تهتز ولاحظت انه ينحنى عندما يضع اكواب الشاى.

وبدأت اميل الى تصديق عزيز وهو يتحدث عن سمعان قائلا:

– كان فى الستينات موظفا فى الخارجية. يجيد اللغة الفرنسية. وفجأة وبدون سبب معروف أخذوه إلى السجن .. وقيل حينئذ ان زوجته كانت جميلة ..

والملحوظة الاخيرة كانت من عند عزيز لأنه أغلق جانب عينه اليمنى ، وكانت اقل كفاءة من اليسرى ولم يكن يستعملها ، ثم ابتلع ريقه وسحب بشفتيه جرعة اخرى من القهوة واستطرد قائلا:

– مكث هناك حوالى خمس سنوات، وعندما اكتشفوا انه يجيد الفرنسية طلبوا منه ان يترجم لهم المجلات الجنسية . وعندما خرج من السجن لم يجد زوجته ولا وظيفته بسبب غيابه الطويل ، وعجز عن اثبات وجوده فى السجن ، وتقديم سبب لغيابه عن العمل بدون عذر . وخرج من السجن ومعه هواية غريبة ، اذ أصبح يميل كثيرا الى التطلع فى وجوه الضباط والعساكر ، ولازمته تلك العادة لفترة طويلة وسببت له كثيرا من الاهانات فيما بعد ، واضطرته إلى الوقوف طويلا امام باب

المركز يتطلع اليهم عند دخولهم وخروجهم .. ويضحك عزيز وهو يضع اصبعه فى فمه المظلم ليعدل وضع طاقم أسنانه ويقول:

– تلك العادة جلبت عليه المتاعب، لان أحدهم ظن انه بهذا التطلع انما يحفظ تقاسيم وجوه الضباط ويريد ان يرفع قضية التعويض التى طالما تحدث عنها كثيرا دون ان يرفعها.. وعندما بدأت هجمات الجماعات جذبه احد الضباط بعد ان رآه وهو يتطلع اليه وظن الضابط انه سيصف شكله لعناصر الجماعات الاسلامية. وظنوه على علاقة بهم.. ضربوه بل وحاولوا اعتقاله لولا تدخل احد مساعدى الوزير الذى كان يعرفه .يام كان مأمورا لهذا المركز..

وسكت لحظة وقال:

– عقبال ما نشوفك مساعد وزير ووزير إن شاء الله..

واستطرد يتحدث عن سمعان قائلا :

– ولكنهم فى النهاية تركوه عندما عرفوا انه مريض.

وتستطرد ذكريات عزيز ترشح واحدة بعد اخرى حول سمعان ويقول:

– لكن يا باشا الضباط اكدوا ان سمعان هذا خبيث وأنه بهذه النظرة الطويلة الى وجوه العساكر يكشف عن ميول جنسية شاذة – والعياذ بالله – وأمروا أن يضربوه ضربا مبرحا والغريب انهم اكتشفوا انه كان يبلل ملابسه برغبته التى تفيض عليه اثناء الضرب ، وكان يتلذذ منهم وهم يضربونه. وكان ينظر الى ضاربيه بشبق غريب..!

ثم نظر فى وجهى وقال:

– ولكن اولاد الحلال توسطوا له فى استئجار بوفيه المركز ليشبع هوايته بالنظر الى العساكر والضباط ، واستفاد سمعان وكسب مالا كثيراً . والغريب أنه لا يأخذ ثمن ما يشربه العساكر والضباط وضيوفهم..

وتذكرت فعلا ان «ابو بخلول» لم يطالبنى بثمن المشروبات التى كنت اطلبها لضيوف المكتب.

وقال سمعان:

- ولكنه يكسب كثيرا من ضيوف المركز والمتهمين والعمد والمشايخ والمحامين والهواة ..!

هكذا سألته مستغربا:

- الهواة ؟

وبدأ عزيز يشرح لى عن هواة دخول مراكز الشرطة والتطلع الى العساكر والصولات والمخبرين وقال ان هؤلاء كثيرون وهم يرتادون المراكز بدون سبب واضح ويفرضون انفسهم على هؤلاء . ثم اشار الى شخص يرتدى قميصا وبنطلونا، ويقف بالقرب من باب الغرفة التى نجلس فيها خلف حاجز التخشيبة وناداه بقوله:

- ثعال يا ...

ولم يكمل نداءه عندما اتجه الهاوى نحونا ببلادة .

وسأله عزيز عن سبب وجوده فى المركز فقال وهو يتلعثم:

- أبدا...

- لماذا أنت هنا؟

- أبدا...

- معك بطاقة؟

- نعم.

ثم أخرجها وهو يرتعش . وكان يجاهد فى استخراجها من جيبه ثم ناولها لعزيز الذى قرأ بياناتها بصوت مرتفع قائلا:

- مفتاح عليان مفتاح. موظف فى مديرية الاوقاف.

ثم توقف عن القراءة وسأله:

- انت هنا ليه؟

ولم يرد الرجل. وان كان الخوف قد حوله الى شخص لمسه تيار قوى وكانت اصابع يديه ترتعش بشدة وناوله البطاقة وقال:

- شفت سيادتك ؟

....

وكنت من نافذة مكتبى أرقبه وهو يقوم بسؤال امرأة تقدمت بشكوى ضد رجل ضربها . وكان عزيز يكتب فى ورقة امامه.

- اسمك يا وليه ؟

- مبروكة عبد الباسط.

- سنك كام ؟

- ربنا يخليك.

- سنك يا ستى ؟

- ويبارك فيك.

- سنك ؟

- ويخلى لك الست.

ويصرخ عزيز قائلا:

- عمرك كام سنة ؟

- أيوه اتهجم عليّ عبد العال أبو ليفه..

وكان فى تلك الفترة يكتب وهو يسألها دون ان تجيبه اجابة مفيدة .. وبعد أن فرغ من الكتابة نادى بأعلى صوته على احد الخفراء وقال له :

– هات عبدالعال أبو ليفه بالقوة الجبرية ولا تتركه حتى لو دخل بطن أمه ..!

وأمسك الخفير من كتفه وهزه وقال:

– سامع ..؟

....

وتأملت الخفير الذى سيسحب عبد العال من بطن أمه فوجدته غافلا لا يعى شيئا . وكان دائم الهرش فى جسده بأظافره ، وعيناه محمرتان . وقال لعزيز:

– هو شكوى واللا تجنيد؟

وكان عزيز فى تلك اللحظة يرفع وجهه لأعلى وفى يده منديل سرعان ما دفن فيه وجهه وعطس وقال للخفير:

– وانت ما لك يا بارد . جناية !

وقد تأكد لى ان عزيز قد غمز بعينه اليمنى للخفير بشئ متفق عليه ، وخرج الخفير وقد ترك البلاهة والكسل وانطلق يجرى.

....

وكنت أرقبه من نافذة المكتب فى أوقات الفراغ وهو يعدل من وضع الكاب الثقيل على رأسه.

وعندما يحضر عندى فى المكتب ليعرض بعض الاوراق كنت اراه وكرشه الكبير لا تقوى ساقاه على حمله وله رقبة نحيلة ورأس كبير وأنف كبير وأذنان عموديتان على رأسه.

وخيل إلى ان سفينة نوح قد مرت أمام تلك المدينة وتركت فيها جزءا من حمولتها ، فهو قريب الشبه من عنزة أنتجت من سيد قشطة وله عينا ضفدعة.

....

وعاد الخفير بعد فترة ومعه رجل ضرير يكتشف طريقه بعصاه المقوسة عند يده ، وكان متشبثا بذراع الخفير. وعندما دخل ألقى السلام على عزيز بصوت ممتلئ وعميق ، وكان يرتدى ملابس رجال الدين الشيوخ ، ولكنها كانت قديمة ومتاكلة وقذرة ولا تليق بالشيوخ ، لم يرد عزيز السلام على الشيخ ، وهو ما رسخ الاعتقاد لدى الشيخ ان الغرفة خالية فسكت ولم يكرر .

وكان الخفير قد تحرر من الشيخ ، ثم اقترب من عزيزة بطريقة مريبة وانحنى على المكتب.

وكانت يده مضمومة وقربها من مكتب عزيز ودرجه المفتوح وقال:

– سيدنا الشيخ رجل طيب ، وتصالح مع الحرمة...

ومد عزيز يده الى الخفير وتناول ما فيها ووضعه فى جيبه وصاح:

– شيخ وحافظ كلام الله. ويدخل بيت حرمة فى الليل ؟

وحاول الشيخ الضرير أن يتكلم غير أن سيل التوبيخ من فم عزيز لم ينقطع . ومد الرجل ذراعيه للامام وهو يتقدم بخطوات بطيئة حتى تلامس بطنه مع الحاجز الخشبى المحيط بالتخشيبة وكان قد استطاع ان يحدد موقع عزيز ومد ذراعيه حتى عثر عليه وقال:

– والله ما أقصد إلا قراءة الخميس..

ولكن عزيز تخلص منه وقال:

– يعنى هى بتكذب عليك؟

وقال الشيخ:

– هى مش مهم . المهم حد فى الاوقاف عرف الحكاية دى؟

وقال عزيز:

– إن شاء الله الاوقاف كلها هتعرف.

وقال الشيخ:

- حسبى الله ونعم الوكيل.

واتخذ عزيز هيئة المحقق وقال:

- أنت متهم بدخول منزل الحرمة مبروكة عبد الباسط فى الليل وهتك عرضها .

وأخرج الشيخ من جيبه ورقة مالية مطوية وأعطاها لعزيز وقال:

- وانت يا مقدس تصدق الحكاية دى؟

وبدأ عزيز يلين بعد أن كان متجهما ويبدو على وجهه العبوس وقال:

- على العموم انت عارف كلام الله وانا ها أسيبك لبعد صلاة المغرب تكون اتصالحت مع مبروكة وخليها تسحب الشكوى.

تم التحميل من
مكتبتى

١٥ سبتمبر

جاءنى بالمكتب ضابط برتبة عميد

أخبرنى بأنه يعمل بهيئة من الهيئات التى تتبع الحكومة وتتبع هيئة سيادية اخرى رفض الافصاح عنها - لضرورة الامن - حسب ما قاله هو شخصيا ، ولم اكن فى حاجة الى طلب بطاقة تحقيق شخصيته لأنه لم يطلب منى شيئا محددا .

ولما دخل صافحنى.. ولم تقبض اصابعه على يدى.. كما اطبقت اصابعى انا على يده. بل ترك كفه منبسطة كما هى . وفكرت ان الرجل ربما كانت فى يده عاهة منعتها من مصافحتى كما تقضى الاصول ولكننى مع ذلك ناديت على ابو بخلول، وسألت الضيف:

- تشرب ايه ؟

تمنع فى اول الامر واضعا يده على صدره قائلا:

- معلهش . مش قادر اشرب.

ولكننى ألححت عليه فقال:

- قهوه مضبوطه.

وعندما جاء ابو بخلول بالقهوة أبدى الضابط ملاحظة على طول ابو بخلول الفارع وقال انه يرى هذا الطول للمرة الأولى.

وسألنى عن كيفية تدبير احتياجاته من ملابس رسمية ومقاسات احذية . وكنت قد فكرت فى هذا الموضوع ولكننى نسيت فى خضم الاحداث.. وقد تخيلت ان سيادة العميد فى اجازة طويلة ولا عمل له . أو أنهى خدمته . لأنه تحدث معى عن

قطعة أرض اشتراها وينوى ان يزرعها بنفسه حدائق مثمرة وأخبرنى انه يريد ان يدعونى الى نزهة.. فى ارضه يوميا لعمل التمارين الرياضية وسألنى:

ـ على فكره انت مش بتجرى. باين عليك.

ولم اكن مترهلا، ولا من نوى الكروش ، ولا اعلم السبب الذى من اجله وصفنى هذا الرجل بأننى لا اجرى.

وسكت لحظة وقال:

ـ انا كنت جاى فى موضوع صغير.

قلت له :

ـ تحت امرك.

قال :

ـ موضوع الولد الفلاح اللى قتل بنته.

قلت :

ـ قصدك فنجرى ؟

قال :

ـ بالضبط.. آه . فنجرى.

قلت له :

ـ الموضوع فى النيابة.

ومرت لحظة صمت. لم يجد فيها ما يقوله. وكنت مشغولا بأشياء كثيرة فى هذا المركز. وكنت اريد منه ان ينتهى بسرعة ويخرج. وقطع هو الصمت قائلا:

ـ تعرف ان مأمور الشرطة فى الخارج لا عمل له.

ونظرت اليه نظرة تنبىء عن نوع من التعالى. فأنا هنا تشغلنى اشياء خطيرة.. فلا شىء أفظع من افتقاد الامن . ورجالى وأنا مطاردون من عناصر الجماعات

الاسلامية، وكل يوم فيه احداث جديدة وتطورات. وكنت قد نسيت تماما اسرتى وتفرغت للعمل ، فلم أكن بحاجة الى هذا الذى يأتى ليشرح نظام الشرطة بالخارج.. فهو يقضى اجازة وجاء ليتسلى. وراقت لى فكرة التسلية. وسألته:

ـ حضرتك زرت بلاد اجنبية ؟

وضحك وقال:

ـ كتير اوى..

وقلت له على سبيل التسلية:

ـ طبعا هناك فيه تحرر.

نظر فى عينى وقال:

ـ فعلا فيه حرية واباحية بدرجة كبيرة.

ثم بدأ يحكى لى عن صديق له ـ وليس هو ـ كان موفدا لمهمة رسمية للمرة الاولى وفى المطار وجد وفدا من الجهة التى سيزورها فى انتظارهم وان واحدة من افراد وفد الاستقبال راقت له.

ولاحظت ان سيادة العميد يزحف بمؤخرته على الكرسى للامام واتكأ على مقعد الكرسى ومرر كفه على شعره.. واستطرد قائلا:

ـ وهذا الصديق تعمد الالتصاق اثناء سيره بعضوة الوفد. وكان يتعمد ان تلمس يده فخذها ولاحظ انها تبتسم له كلما فعل ذلك.

وظل يتجرأ عليها مرة بعد مرة. وكلما ازدادت جرأته اتسعت ابتسامتها له.

واثناء التنقلات كان يتعمد ان يجلس بجوارها ويلتصق بها ويضع يده على يدها . وفى غرفة الفندق ظلا يتبادلان الابتسامات واللمسات حتى قام باغلاق الباب وطلب منها ان تخلع ملابسها، وعندما حاولت خلع القطعة الاخيرة كاد ينفطر من شدة الهياج ، وفى لحظة خاطفة أنزل القطعة الاخيرة عنوة.. وهاله ما

رأى. اذ شاهد فى تلك اللحظة رجلا كامل الرجولة يبادله الهياج والرغبة.. والغريب ان الفتى حاول الاعتداء على صاحبنا جنسيا. لولا ان استعان بإدارة الفندق التى ارسلت مندوبا عنها فى اللحظة المناسبة.

....

وبينما كان العميد يحكى لى عن تجاربه فى الخارج سمعت ضوضاء شديدة فى الممر الذى يفصل ما بين مكاتب المركز والسور الخلفى للمدرسة الثانوية بنات التى تقع خلف المركز.

فتحت الشباك فى مكتبى والذى يطل على هذا الممر الذى يزيد اتساعه على ستة أمتار . ورأيت حوالى عشرة من الفلاحين يجرون فى هذا الممر جيئة وذهابا.

كانوا عرايا تماما كما ولدتهم أمهاتهم..!

وفى نهاية الممر وقف ثلاثة من المخبرين وفى أيديهم عصي رفيعة يضربون بها هؤلاء ويجبرونهم على الجرى فى الممر حتى يصلون الى نهايته ثم العودة جريا. وكان يجرى خلفهم بعض المجندين وفى ايديهم العصي حتى لا يتوقف احد منهم.

كان الاعياء الشديد ظاهرا عليهم وهم يجرون..!

خرجت من مكتبى .. وناديت على واحد من هؤلاء المخبرين وسألته عما أراه . فقال :

- يا باشا دول تبع البيه رئيس المباحث.

وطلبت منهم ان يتركوهم حتى يرتدوا ملابسهم وان يكفوا عن ضربهم وأن يستدعى رئيس المباحث فورا.

وغاب عنى المخبر لحظة وقال:

- سيادته فى مأمورية ..

ولم يكن من المعتاد ان يتغيب رئيس وحدة المباحث دون ان يخبرنى ودون ان اعرف مكانه.. طلبت من المخبر احضار هؤلاء الذين رأيتهم.

وغاب المخبر فترة وعاد وخلفه الرجال يقفون صفا واحدا وهم يرتدون ملابسهم البلدية.

سألت واحدا منهم:

ـ انت بتشتغل ايه؟

وكان يقترب من الستين. وملابسه قديمة ورثة ومبللة بالعرق عند الرقبة وقد تراكمت عليها الاقذار إلى الحد الذى بدا فيه ان جلبابه هذا مصنوع من الجلد، ولم يكن يرتدى ملابس داخلية.

أجاب وهو يلهث:

ـ قصاص حمير.

ولم استوعب ما قاله فى اول الامر ، إذ نطقها بسرعة من شدة اللهاث فقد كان تنفسه متسارعا .. ويرفع وجهه لأعلى يستجدى الهواء.. وسألته من جديد وأجاب بنفس السرعة ايضا:

ـ قصاص حمير.

ثم سكت لحظة وتدارك وقال:

ـ أقص الحمير يا باشا..

وقالها بطريقة سمعتها من قبل عندما كانت الفلاحات تبكين فى قرية بنى شاسية .. وهى طريقة موغلة فى الحزن على عادة الارياف.

وسكت الرجل لحظة يسترد أنفاسه.

ولاحظت أنه لا يستطيع ان يفتح عينيه ولا أن يرفع وجهه لأعلى.

وفى بعض الاحيان كان يضع يده على حاجبيه ليتمكن من النظر نحوى،

وعندما دققت فى عينيه وجدت عينيه قد سال منهما سائل اصفر وقد جف بعضه عند طرفى عينيه.

سألت المخبر عن سبب وجوده، وأجاب المخبر:

- معرفشى يا بيه.

وسألت الرجل فأجاب:

- معرفشى.

ورفع كفه ووضعها عند حاجبيه.

ومرت فترة صمت.. وسألت الرجل مرة ثانية عن سبب وجوده فرفع يده ووضعها على عينيه.. ورفع وجهه لأعلى وقال:

- يا بيه انا راجل قصاص.. عشرين مقص نجيب.. تلاتين مقص نجيب.. خمسين مقص نجيب .. حايد عن السلاح منعرفوش..

وأعجبتنى الطريقة التى يتكلم بها الرجل.

وكان يريد ان يرفع عينيه نحوى ولكنهما لم تسعفانه.. وهز رأسه ربما متعجبا وقال:

- ربنا يعلى مراتبك يا باشا.

وسكت لحظة وقال:

- الله يعليك يا بلوكامين..!

وكدت اضحك.. وابتسم المخبر الذى كان واقفا.. وهو بلا شك سيجعلها احدى النوادر التى يتندر بها وسط زملائه. فالرجل لا يعرف معنى كلمة «بلوكامين» التى لا تزيد على وظيفة كاتب عسكرى. ووجدت نفسى أستدير بوجهى وأضحك بالفعل.

وعبثا حاولت أن أبدو جادا وأنا أسأل الرجل عن سبب وجوده وتمالكت نفسى وقلت له:

- انت جاى ليه؟

وقال الرجل:

- هما اللى جابونى.. وعايزين منى حته آلى.

ثم اغمض عينيه ورفع وجهه لأعلى بطريقة فيها سخرية.

وأيقنت أنه يسخر من جهلى لأننى سألته عن سبب احضاره.. فالمفروض أننى أنا الذى أعرف السبب. ولأننى مسئول مسئولية كاملة عما يحدث فى المركز فقد شعرت بنوع من الخزى.

والحق أننى فوجئت تماما بوجودهم .. وهذه واحدة من أفعال رئيس وحدة المباحث ..! وقد بدأت تظهر فى الايام الاخيرة.

سألت الرجل عن سبب هذا الطلب الغريب فقال:

- أنا يا بيه غلبان وعلى باب الله. وكل يوم أسرح على رزقى ومقصى تحت باطى فى بلد من البلاد .. أجيب منين السلاح .. أنا يا باشا أكمل عشايا وعشا العيال نوم .. يبقى منين أعرف السلاح .. ؟

وتذكرت أن مدير إدارة البحث الجنائى قد أخبرنى أنه ربما يتم تجهيز حملة لجمع الاسلحة غير المرخصة من بعض القرى من دائرة المركز.. وكنت أعلم أن الاحصائية السنوية تؤخذ فى الاعتبار عند انتهاء العام وأنه يتعين ألا يقل السلاح المضبوط وغير المرخص عن الرقم الذى تم فى العام الماضى. بل يجب أن يزيد.. وأنه تحدث منافسة شديدة بين ضباط وحدات البحث فى المراكز المختلفة من أجل تحقيق أعلى رقم.. وأن الوزارة ترصد مكافأة لهذا الخصوص.

وتركت قصاص الحمير وسألت الرجل الذى يليه ، فقال:

- أنا بياع بوظه فى الغيطان .

ولاحظت أن رجليه منفرجتان وله كرش كبير . وصدره عارٍ تماما وملابسه ممزقة . ويبدو أن استماعى للرجل الاول شجعه على الكلام. فتكلم وقال :

- أنا مطلوب منى بندقية خرطوش وأنا يا باشا زى ما أنت شايف سريح فى الغيطان بالبوظه أسقى الفلاحين وآخد فى آخر المحصول كيلة قمح.. كيلة دره.. انا فى رقبتى تسعة وأمهم..

وسكت الرجل لحظة وقال:

- أنا مستعد اسقى المركز كل يوم بوظه .. بس يسيبونى فى حالى ..!

وأشفقت على الرجل.

ولم أحاول الاستماع الى بقية القصص فكلها على هذا المنوال ، وأمرت أن يصرفوهم الى بيوتهم . اقترب منى المخبر واسمه رضوان وهمس فى أذنى قائلا:

- أصل دول هانرحلهم عالتجنيد.. يمكن يكونوا متخلفين.

وتمالكت أعصابى إلى حد كبير.. فقد خطر لى فجأة أن أدخل أصبعيّ الاثنتين

- هكذا - فى عينى المخبر رضوان؟ فقد كان اصغر فرد فيهم لا تقل سنه عن الاربعين بأى حال من الاحوال. وضغطت على الجرس فجاءنى أبو بخلول.. طلبت منه استدعاء نائب المأمور.

....

جاء نائب المأمور وسيما . ذقنه ناعمة دائما ، مبتسما دائما. وطلبت منه أن يتأكد من انصراف هؤلاء من المركز.

ابتسم وقال:

- حاضر.

....

كل هذا حدث والعميد الذى يعمل فى هيئة لها حساسية موجود فى المكتب ينتظر استكمال وصف زياراته للخارج.

وعندما أصبحنا وحدنا قال:

- على فكره بانكوك بلد لذيذة. أنا أكلت فيها أكله خطيرة جدا. والأكلة دى مش ممكن أى واحد ياكلها..!

وحكى لى عن مطعم شهير هناك يجلس فيه الزبائن زوجين. ولا يسمح لأى شخص مهما كان بدخوله منفردا.. ولا يسمح لرجلين أو امرأتين بل لرجل وامرأة. وقال ان من تقاليد هذا المطعم انه يسمح بلقاء جنسى قبل الأكل ويهيئ مكانا لذلك. وتناول الطعام فيه يستغرق ثلاث ساعات كاملة.

وقال إن إدارة هذا المطعم لابد أن تتأكد من اتمام هذا اللقاء بأى صورة من الصور - لم أسأله أنا عن كيفية التأكد.

وقال انه فى بداية تقديم الطعام يجلس الرجل والمرأة متقابلين وبينهما منضدة مثبتة بالارض بأربعة قوائم حديدية ، وفى وسط المنضدة ثقب واسع يتسع لطبق صغير.

(الحقيقة أنا لست واثقا تماما من صدقه لأنه يبدو عليه من الطريقة التى يحرك بها عينيه ويديه احتراف الكذب).

واستطرد قائلا انهم أحضروا قردا صغيرا - رضيعا - وقيدوه فى أرجل المنضدة بحيث ظهر الجزء العلوى من رأسه من ثقب المنضدة. وجاء رجل من العاملين فى المطعم ومعه آلة تشبه السكين الكهربائية وأزال المنطقة العلوية من رأس القرد . ثم رفع هذا الجزء فظهر المخ . وجاء عامل آخر ومعه صينية فيها بهارات خاصة وتوابل وبعض العصائر المركزة وأضافها إلى الطبق الطبيعى الذى أمام الزوجين . ثم أعطى لكل منهما ملعقة ، وتمنى لهما الهناء والشفاء .

والحق أننى كدت أتقيأ .. !

واستطرد العميد الذى لم يتأثر بما حكى ، وكان يستمتع وهوى يحكى :

– على فكرة زبائن هذا المطعم من العرب والأمريكان ..

وكنت أعرف أن بعض المسئولين السابقين تجتاحهم احيانا رغبات عارمة فى الفشر .

★★★

دخل المكتب رجل يرتدى بدلة كاملة وفى يده حقيبة كبيرة . كان رأسه أصلع تماما والبقية الباقية خلف رأسه كلها بيضاء تماما . والرجل لا يقل عن الخمسين من العمر .

مد يده وصافحنى قائلا :

– الدكتور تاوضروس .. طبيب شرعى .

رحبت وأجلسته بجوارى وضغطت على الجرس .. جاء أبو بخلول وطلبت له شايا .

وعندما انصرف أبو بخلول وجدت أنه يطيل النظر إليه .. !

قلت له :

– حضرتك طبيب شرعى ؟

قال وهو يعدل وضع النظارة الطبية على عينيه :

– أى نعم ..

قلت :

– اهلا وسهلا تشرفنا ..

قال :

– الله يبارك فى سيادتك

وسكت لحظة وقال :

– الحقيقة أنا كنت جاى هنا فى مأمورية . طبعا سعادتك عارفها .. وكانت الموضوعات التى تحتاج إلى الأطباء الشرعيين كثيرة منها تشريح جثث القتلى فى العمليات الأخيرة وتشريح جثة عزيزة فنجرى وتشريح جثة موظف وجدوه مقتولا فى منزله . وكلها تستدعى وجود أطباء شرعيين لا طبيب شرعى واحد ..

واستطرد الطبيب قائلا :

– الشغل عندنا الأيام دى كتير قوى ..

ابتسمت وقلت بخبث :

– عموما تشريح جثث القتلى احسن من ان تكون واحدا منهم .

وعبس وجهه قليلا . ولكنه عاد وتهلل وقال :

– عموما الأعمار بيد الله . الله يكون فى عونكم.

سألته :

– خلصت المأموريات ؟

ابتسم وقال :

– كلها ..

قلت :

– يظهر البنت الغرقانة مظلومة ؟

وظهر التأثر على وجهه وقال :

– فعلا البنت دى مظلومة ..

ورفع الحقيبة ووضعها على ركبته وضغط على جانبيها ورفع غطاءها وأخرج منها ورقة وقال :

- عموما أنا دايما اكتب تقاريرى فى المشرحة . وبدأ يقرأ :

* الجثة فى حالة تعفن رمى متقدم مع ظهور دود .

* توجد اصابات بالوجه وكدمات رضية حول الفم والانف ومقدم اللسان نشأت من الضغط على منطقة الفم والانف بغرض كتم النفس .

* الجثة ألقيت فى الماء الراكد بعد وفاتها .

* غشاء بكارتها سليم ولا توجد به تمزقات .

* تعزى الوفاة الى اسفكسيا كتم النفس من الضغط على منطقة الأنف والفم وما نتج منها من هبوط حاد فى الدورة الدموية والتنفسية .

* مضت على الوفاة لحين الفحص والتشريح مدة تقدر بأكثر من يوم وأقل من عشرة أيام .

ثم طوى الورقة وأعادها للحقيبة واغلقها ووضعها بجواره وقال :

- يظهر أن اخوها شك فى سلوكها وقتلها ورماها فى المية ..

قلت له :

- اللى قتلها أبوها .. !

قال :

- أبوها . أخوها .. كلهم هنا سيان . المهم واحد من العيلة يقوم بالواجب .

قلت له وأنا أشجعه على الدخول فى الموضوع الذى جاء من أجله :

- تحت امرك يا دكتور ..

ودخل أبو بخلول بالشاى فانشغل الطبيب الشرعى بالنظر إلى طوله الهائل ، وظل يتابعه بعينيه وهو ينحنى ويضع الشاى امامه . وقال :

- دا طويل قوى .. !!

ضحكت أنا .

قال :

– أنا كنت جاى لسيادتك فى موضوع بسيط .

قلت :

– تحت امرك ..

قال :

– لى خال من أبناء المركز صدر له حكم نهائى ومطلوب تنفيذه بالقوة الجبرية والمركز ممانع .

قلت له :

– حاضر نشوفه .

وطلبت نائب المأمور بالتليفون فأخبرنى أن موضوع الأحكام والتنفيذ عند بلوكامين المباحث «كاتب المباحث» وهو غير موجود لانه فى اجازة .

وظهر الامتعاض على وجه الطبيب .

وطمأنته وسألته عن الحكم فقال :

– خالى كان عنده بيت مؤجر للتربية والتعليم مدرسة وبعدين قاموا بهدم جزء من البيت دون موافقة المالك .

فخالى رفع دعوى عليهم وكسبها من تسع سنين ومش قادر ينفذ الحكم لغاية النهاردة .

والحق اننى نصحته برفع دعوى على كل من المحافظ ووزير التعليم لعدم تنفيذ حكم نهائى واجب النفاذ ..

فقال وهو ينهض ليصافحنى :

– على العموم هو دا الحل الأخير ..

١٨ سبتمبر

اتصل بى نائب المأمور فى الاستراحة .

كانت الساعة تقترب من الثامنة صباحا وأخبرنى أن وكيل النيابة اتصل به تليفونيا وأبلغه بأمر ضبط واحضار ثلاثة من ضباط الأمن المركزى الذين حضروا الحملة التى كانت بتاريخ ٢٩ أغسطس ومعهم الاسلحة الاميرية المسلمة لهم والتى كانت عهدتهم أثناء قيامهم للمأمورية .

تذكرت أننى لم أخرج معهم فى هذا اليوم . وأن نائب المدير للقطاع اتصل بى وأخبرنى بأن المأمورية ستستمر حتى انصراف الأولاد من عند المسجد الذى تجمعوا عنده . وكنت أعرف أنه تم قتل أحد العناصر وأن والده قدم شكوى للنيابة يتهم فيها رجال الشرطة .

وذكر لى نائب المأمور اسماء الضباط المطلوبين ..

سألت نائب المأمور :

– هل وصلت اشارة ؟

قال :

– لا ..

قلت له :

– من فضلك نبه على السائق للتوجه إلىّ فى الاستراحة . أنا قادم .

قال :

– حاضر

وبدأت الأسئلة تدور فى رأسى !

- من الذى أخبر النيابة بأسماء الضباط ؟

- ومن الذى عرف الأسماء ؟

- وكيف توصل إلى الأسماء ؟

وكنت أعرف أن والد المجنى عليه لايمكنه - دون مساعدة من أحد - ولاشك أن أحدا مامن داخل جهاز الشرطة وبالتحديد من العاملين فى مركز الشرطة هو الذى قام بإمداده بالاسماء الكاملة .

وارتديت ملابسى وعندما سمعت صوت «كلاكس» السيارة حملت سلاحى ونزلت .

★★★

فى المركز كان نائب المأمور بانتظارى .

سألت عن رئيس وحدة المباحث ، وقيل لى إنه قد ابلغ بمرضه .

★★★

اتصلت بمدير الأمن وأخبرته بما أخبرنى به نائب المأمور ، وقلت له إنه حتى هذه اللحظة لم يصلنى شىء بصفة رسمية .

وأخبرنى مدير الأمن أن رئيس وحدة المباحث هو الذى ذهب الى النيابة وهو الذى أخبر عن زملائه ضابط الأمن المركزى الذين اطلقوا النار على القتيل .

وأخبرنى أنه بصفة مبدئية قرر نقل رئيس وحدة المباحث إلى المطافى وتم تعيين رئيس وحدة مباحث بدلا منه .

★★★

اتصلت بمدير إدارة البحث الجنائى وأخبرته بما أخبرنى نائب المأمور فأخبرنى أنه يعرف حكاية رئيس وحدة المباحث .

وسألنى :

- معقول أنت لاتعرف ؟

قلت له :

- صحيح لا أعرف .

وكانت طريقة كلامه تحمل معنى التلميح بأننى أعرف كل شىء ولم أبلغ .

وقلت له :

- ولكننى لم أرشحه للعمل هنا .

وسكت مدير المباحث ولم يرد .

★★★

فى الساعة الثانية عشرة منتصف الليل ، جاء نائب المدير للمنطقة ومعه مدير إدارة البحث الجنائى ، وعقيد من أمن الدولة ومعهم ضابط برتبة رائد يرتدى الملابس المدنية ، وعرفت أن هذا الضابط هو الذى تم تعيينه بدلا من رئيس وحدة المباحث الذى نقله مدير الأمن .

تناقشنا فيما فعله رئيس وحدة المباحث السابق .

عرض اللواء نائب المدير للقطاع الموضوع فقال إن الضابط - على حسب ماوصل اليه من معلومات - بعد أن حرر محضر التحريات الذى قال فيه إنه لايستطيع الجزم بالاشخاص الذين تسببوا فى قتل المجنى عليه .

وبعد اقفال المحضر وتسليمه للنيابة عاد فى اليوم الثانى ولم يذهب الى عمله واعتكف فى منزله فى إحدى القرى التابعة لمركز من مراكز المديرية .

وفى الليل خرج من بيته الى النيابة مباشرة !

وهناك أدلى بأقوال مناقضة تماما لما كتبه وذكر أنه شاهد ضباط الأمن المركزى الثلاثة وهم يطلقون النيران على عناصر الجماعات المحاصرين فى

المسجد وهم يقفزون من النافذة الخلفية للمسجد المطلة على الترعة وقرر أنه لايشك فى أن الرصاصات التى أطلقها ضباط الأمن المركزى هى التى أصابت المجنى عليه .

وذكر اللواء أيضا أن الضابط أرسل الى والد القتيل بأسماء الضباط الثلاثة الذين قتلوا ابنه .

وقامت النيابة بطلب الضباط الثلاثة والأسلحة وأرقامها .

وأضاف اللواء نائب المدير أن الموقف الآن بالنسبة لهذا الضابط أنه ارتكب عدة اخطاء أولها : أنه لم يبلغ رئاسته بما ينوى أن يفعله . والثانية الادعاء كذبا على زملائه الضباط بارتكابه جناية قتل فضلا عن التزوير فى أوراق رسمية .

وتكلم ضابط أمن الدولة فقال :

ـ هذا الموضوع يتم فحصه بالتفصيل عندنا .. ولكن توجد معلومة توصلنا اليها اليوم وهى أن هذا الضابط سبق أن تقدم باستقالته الى الوزارة منذ أكثر من ثلاثة أشهر وقرر وقتها أنه كان يريد الالتحاق بعمل فى الخليج فى وظيفة محلل قانونى فى احدى شركات النفط ، ونحن الآن نحاول الوصول إلى طبيعة نشاط تلك الشركة . ثم التفت الى نائب المدير وقال :

ـ المهم الآن أنه يجب التنسيق مع ضباط الأمن المركزى وتوحيد أقوالهم فى النيابة وتلقينهم ماينبغى أن يدلوا به من أقوال هناك ، وهذا الموضوع يجب أن يتم بين أمن الدولة وادارة البحث وادارة الأمن المركزى .

ونظر نحوى نائب المدير وسألنى عن أحوال المركز .

وأجبت على الفور :

ـ الحمد لله ..

وكان سؤاله بدون معنى .. وأيقنت أن الأمور هنا لاتسير فى صالحى .. وأننى على الأقل انتظر قرارا مهما .. غير أننى لم أتمكن من تحديد طبيعة هذا القرار .

وقال نائب المدير وقد أيقن أن الرسالة وصلت وحاول أن يمنحنى بعض الأمل والثقة فأخبرنى أن مدير الأمن كان يريد أن يشكر واحدا من أعيان هذا المركز لأنه تبرع بقطعة أرض لبناء مركز شرطة جديد وأنه تبرع بتكاليف انشاء هذا المركز ، ووضع المبلغ كله تحت تصرف الوزارة وعلى ذلك فانه يجب توجيه الشكر بصفة رسمية وأننى يجب أن أذهب اليه نيابة عن مدير الأمن .

وأخبرنى بأن المدير اختارنى أنا بالذات لكى أمثل الوزارة لتقديم الشكر رسميا اليه .

وقلت له :

- حاضر وإن شاء الله سأتوجه اليه باكر وأشكره .

ثم أخبرنى عن اسمه وقال :

- ابراهيم كوجت شيرين

نت التحميل من مكتبتى

١٩ سبتمبر

عندما دخلت المكتب لم أجد أبو بخلول ..

وجدت واحدا غيره اسمه عبد الفتاح أخبرنى أن أبو بخلول فى المستشفى المركزى منذ ليلة أمس مع ابنته .

قلت له :

ـ سأتصل بالمستشفى بعد ساعة عندما يذهب الأطباء .

غير أننى رأيت عبد الفتاح واقفا فى مكانه وقال بتأثر :

ـ بنت أبو بخلول بين الحياة والموت .

رفعت سماعة التليفون وطلبت مدير المستشفى وعرفت أنه حتى الآن لم يصل من منزله .. تركت له خبرا أن يكلمنى بجرد وصوله .

سألتنى التى تتحدث :

ـ نقول له مين يا أفندى ؟

قلت لها :

ـ المأمور .

قالت بلهفة وكأنها بوغتت !

ـ المأمور ؟! أعوذ بالله !

وخيل الىّ أنها ستكمل باقى المعوذة وستقول «من الشيطان الرچيم..» ولكنها تداركت وقالت :

ـ هو الدكتور عمل حاجة ؟

ووضعت السماعة ولم استمع الى الباقى .

وبعد نصف ساعة رن التليفون ، وكان المتحدث مدير المستشفى وكان يلهث وتكلم بسرعة فقال :

ـ أنا مدير المستشفى .

وقلت :

ـ صباح الخير يادكتور أنا المأمور .

قال :

ـ صباح الباشا ياسعادة الخير .

وسكت أنا أستوعب ماقاله وقلت :

ـ هه ..

وتدارك الدكتور نفسه وقال :

ـ صباح الخير ياسعادة الباشا ، لامؤاخذة .. فيه حاجة حصلت ؟

حد بلغ سيادتك حاجة ؟ حد قدم شكاوى مجهولة ضدى ؟ حكم وقاطعته قبل أن يكمل :

ـ خير إن شاء الله يادكتور .. أبو بخلول الصول بتاعنا بنته بتعمل عملية عندكم فى المستشفى وطبعا البركة فيك .

قال :

ـ أبو بخلول .. أبو بخلول .. أبو بخلول مين ؟

وسمعت صوتا نسائيا بجواره يلقنه يقول :

ـ أبو بخلول السنافور ..

وهتف الدكتور فى السماعة قائلا :

ـ أيوه ياباشا .. أبو بخلول السنافور .. أيوا عرفته .. دا فى عينى من جوا .. أنت تأمر .

وقلت له :

ـ شكرا .

★★★

رن التليفون .

رفعت السماعة ، وكان المتحدث مدير التليفونات فى المركز ، وكنت أعرف صوته دون أن أراه ، وكنت قد أخبرته برغبتى فى الاتصال بأسرتى فى القاهرة وكان دائما يلبى طلبى فورا ، وفى المرة الماضية أخبرنى أن الخط المحورى معطل ، وأنه فور اصلاحه سيوصلنى بأسرتى والرقم عنده .. وهذه المرة بادرنى قائلا :

– صباح الخير أنا سدراك.. مدير التليفونات.

وقلت:

– ازيك ياباشمهندس سدراك.

– أهلاً وسهلاً يا باشا..

– المحورى اتصلح؟

– وجسد المسيح المحمورى عطلان.

وسكت لحظة وقال:

– أنا لى طلب صغير عند سيادتك.

قلت:

– اتفضل، تحت امرك.

قال:

– ممكن ازورك فى المكتب..؟

قلت:

– طبعا فى اى وقت ويستحسن بعد ساعتين.

قال:

– إن شاء الله ... إن شاء الله.

★★★

تذكرت موضوع زيارة الوجيه ابراهيم كوجت شيرين وكنت قد كتبت ورقة باسمه أمامى على اجندة المكتب وذلك لتقديم الشكر له لتبرعه بقطعة أرض وتكاليف بناء مركز شرطة جديد . وقررت إرجاء هذا الموضوع للمساء ، وطلبت من عامل التليفون أن يبحث لى عن رقم تليفونه لإخطاره بالموعد.

وبالفعل اتصل بى عامل التليفون وأخبرنى انه لم يجد الوجيه ووجد وكيل اعماله واسمه عبدالراضى وانه أبلغه بأن المأمور سيحضر لزيارة الوجيه فى قصره فى الثامنة مساء اليوم.

★★★

كان موضوع الضابط الذى اقتحم منزل الفلاحة ليلا وحاول تقبيلها يحتاج الى اعادة فحص وانه ينبغى تكليف وحدة المباحث بإجراء مزيد من التحريات للوقوف على حقيقة الموضوع وفكرت فى استدعاء عمدة القرية ولكننى عدلت وفضلت الانتظار لحين حضوره بالصدفة .

★★★

دخل سدراك مدير التليفونات.

يرتدى نظارة طبية وجسده نحيل وطويل . الجزء الأعلى منه ينحنى قليلا للأمام وفمه بالغ الاتساع.

صافحنى بكلتا يديه وشد على يدى كثيرا وقال:

– والله ياباشا انا محرج من سعادتك . الخط المحورى عطلان ، لكن المهندس فانوس هيصلحه بإذن الله قبل الضهر . وأنا نبهت عليه انه بمجرد ما يخلص يتصل بسعادتك، وانا اديته النمرة .

قلت له :

– متشكرين.

واقترب اكثر منى ، ونظر حوله ، ثم نظر تجاه النافذة المفتوحة كما لو كان خائفا من شخص ما....!

قال:

– يا باشا ابن اختى سنه سبع سنين ومارجعش من المدرسة ليه ثلاثة أيام.

قلت له مستغربا:

– ثلاثة أيام؟

وفكرت ايضا ان المدارس فى هذا الوقت فى إجازة نهاية العام الدراسى وان العام الجديد لم يبدأ بعد وسألته:

– مدرسة ايه ؟

قال :

– فصول التقوية اللى عاملها الحزب...

قلت له:

– خلاص اعمل محضر غياب وهات ولى امره يبلغ..

ونظر نحوى سدرك كمن يستخف بعقلى وقال:

– ننتظر يا باشا يمكن يبان فى الليل ..!

نظرت فى وجه سدراك فلم اجد أثرا للانزعاج الذى يصاحب وجه رجل جاء يبلغ عن اختفاء طفل هو فى الواقع ابن شقيقته ولم تكن الكارثة واضحة تماما على وجه سدراك ولكننى ارجعت ذلك بأنه مجرد خال الطفل وليس والده ..!

قال بصوت منخفض:

– ربنا كريم يا باشا . دا أصله ولد وحيد على خمس بنات.

سألته:

والد الطفل بيشتغل ايه ؟

قال :

– مسافر الكويت من عشرين سنة ..

وأيقنت ان فى الامر شيئا لايود سدراك الافصاح عنه وعندما جاء عبد الفتاح قلت له:

– هات شاى..

ونهض سدراك واقفا وانحنى على يدى يريد تقبيلها بطريقة لا تتناسب أبدا مع مركزه وثقافته وقال وهو يكاد يبكى:

– وشرف سعادتك بعد ما يرجع أنطون ابقى اشرب..

وصرفت عبد الفتاح من المكتب.

قال وقد اقترب منى أكثر:

– أنا مش هـا أخبى عن حضرتك . فيه شخص تدخل وطلب خمسة آلاف جنيه ..!

وكان لا يزال واقفا ..

طلبت منه الجلوس ليكمل وقلت له:

– مين اللى تدخل؟

ونظر نحوى كأنما يستعطفنى أن اعفيه من الاجابة . وسكت لحظة ولم يتكلم.!

وشعرت أن الرجل يجاهد مجاهدة عظيمة وانه يتعرض لضغوط لاقبل له على مقاومتها أو تحملها، وان الخوف بلا شك هو اهم تلك الضغوط، وانه عندما جاء الى هنا كان يبتغى نوعا من الحماية . غير أنه أيقن بعد أن تورط بالمجئ ان هنا لا توجد الحماية التى يبتغيها وأن مسألة سيادة القانون وحق الحماية المكفولة للجميع لا ينفع هنا.!

نهضت من مقعدى وجلست بجواره.

قلت له وأنا أركز عينى على وجهه:

- أنا أكلمك كأخ .. وأنا متعاطف معك ، ومقدر تماما لكل ما تتعرض له من ضغوط ولن أتدخل بصفتى مأمورا وسأحترم رغبتك فى عدم الابلاغ .. غير ان خبرتى فى هذا المجال قد تفيدك أكثر لو تحدثت معى بصراحة تامة ..

وأخرج سدراك منديله من جيبه وشرع يمسح انفه وعينيه . وبدا كما لو كان مصابا بالزكام . تركته لحظة حتى يهدأ وطلبت له شايا وكنت اعرف انه جاء هنا عندى ليقول لى .. وأنا لم أجبره على الحضور ، وانه لابد ان يجد من يستمع اليه ، فكل المحيطين به من أهله لاشك انهم يتحكمون بنوع من العاطفة والخوف . حتى هؤلاء الذين ينصحونه بالامتثال لهم مصلحة فى خضوعه لهذا الابتزاز الفظيع.

ولكننى مع ذلك لم أضغط عليه..

وبعد ان هدأ وأدخل منديله فى جيبه قال:

- العمدة همام بعت واحد بيشتغل فى الادارة الزراعية مع ام انطون وهى موظفة فى الادارة الزراعية ، وقال لها تشوف خمسة الاف جنيه وتحطهم فى كيس بلاستيك وتحط الكيس فى حوش المواشى المهجور بتاع الحاج مسعود والحوش ده جنب بيت أم انطون وانه بعد العشا الولد هيكون عند القنطرة وتروح تاخده من هناك..

قلت:

- والمبلغ موجود؟

قال:

- بنحاول نلمه من بعض..!

قلت مستغربا:

– مش أبوه فى الكويت؟

قال بأسى:

– أصل أعمام الولد ميعرفوش حكاية انطون وانه مخطوف . فيه مشاكل بينا وبينهم ومش بعيد يتهمونا بأن احنا مدبرين الحكاية عشان الفلوس..

وسكت لحظة وقال :

– دى مشاكل كثيرة يابيه ..!

سألته :

– والعامل اسمه ايه ؟

قال :

– خلاص يابيه .

قلت له :

– عموما اذا لم تكن تريد الابلاغ فانت حر لكن أنا فى انتظارك.

قال وهو يضع يده على صدره :

– حاضر ..

وخرج.

وخيل إلىّ ان ظهره ازداد تقوساً وأن سنه قد ازدادت عشر سنوات فجأة.. فقد رأيت سيقانه تلتفان بعضهما على بعض ..

★★★

دخل العمدة همام.

وشعرت بأن قلبى قد خلع من مكانه ، اذ كنت فى تلك اللحظة مازلت أستعيد حكاية سدراك وابن أخته المخطوف، وخشيت أن يكون أحد قد رآه أثناء دخوله

وخروجه من مكتبى ، وفى هذه الحالة فان قتله يصبح ضروريا لعدم افتضاح افراد العصابة التى يرأسها همام. وشعرت بنوع من تأنيب الضمير..!

وازداد هذا التأنيب وأنا أنظر الى يد العمدة همام السمينة وهى تمتد نحوى بالمصافحة وهيمن علىّ احساس فظيع بالاكتئاب . وخيل إلىّ الفشل يلاحقنى ، واحتقرت نفسى .. وشعرت أننى غير جدير بالجلوس فى هذا المكان وأنه ينبغى على أن أتركه فورا وأذهب الى هناك فى القاهرة وأفعل أى شىء .. بعيدا عن هذا الموقع ..!

★★★

بعد أن صافحنى همام جلس بجوارى . ورفع الشال الصوفى الذى يضعه على كتفيه ووضعه على ركبتيه ثم رفع ذراعيه لأعلى فانكشفت الفانلة الصوفية التى يلبسها تحت جلبابه الصوفى الواسع ، ثم اتسعت حدقتا عينيه وقال :

- أما أنا نفسى أروح الحجاز ...

ونظرت اليه نظرة جانبيه وحاولت أن أنشغل عنه بشىء حتى أشعره بعدم رغبتى فى استقباله ، وفكرت فى أن أطلب منه أن يخرج ، ولكننى وجدت انه من اللائق ان استقبله ولكن بتحفظ شديد واننى ينبغى ان أقطع علاقتى به تدريجيا .

وسألته :

أى خدمة ياعمدة ؟

وتظاهرت برغبتى فى النهوض والخروج . غير أنه مد جسده السمين واقترب منى وقال :

- الباشا مدير الأمن عايزك ..!

ووجدت نفسى اقترب وأسأله :

- ليه ؟

تمنع للخلف قليلا وعدل من وضع الجلباب عند عنقه ، ثم وضع اصبعيه عند شاربه واتخذ هيئة حكيم وقال :

– مش عارف ..

ثم نظر نحوى نظرة فى الامكان تأويلها الى سخرية من جهلى واستخفافى بقدرى .. وخيل إلىّ انه فهم ماأنويه ومشاعرى تجاهه وقال :

– عموما أنا هاكون عنده فى الليل ..

وكان عبد الفتاح قد أحضر الشاى .

ولاحظت هذه المرة أن كلامه قليل عكس زياراته فى المرات الماضية . فقد كان لايكف عن الكلام . وأيقنت أنه شاهد سدراك وهو يخرج من مكتبى .

ونهض همام واقفا ومد يده وصافحنى وخرج ..

وقررت الخروج ..

★★★

كنت قبل الخروج قد قررت اخطار نائب المدير للقطاع بكل ماحدث . وأخبرته بموضوع ابن شقيقة سدراك فسألنى :

– بلّغ رسمى ؟

قلت :

– لا .. ورفض فكرة الابلاغ الرسمى .

قال :

– خلاص ...

وبعد فترة طلبنى فى التليفون وأخبرنى أنه يريدنى لأمر هام ..

وعندما وصلت اليه وجدته يتأهب للخروج . وعندما شاهدنى قال :

– كنت سأخطرك بمأمورية .

والتفت الى رجل يرتدى ملابس بلدية وقال :

- اخطر المأمور بخطاب سرى بالمأمورية ..

وأمسك يدى وقادنى الى المدرعة التى كانت تنتظر عند باب المنطقة .

وقال :

- انظر خلفك ..

ونظرت فوجدت بلدوزر ضخما من الانواع التى تستخدم فى ازالة الصخور وتسوية الاراضى الصحراوية .

وسارت المدرعة والبلدوزر خلفها ، وعندما انحرفنا الى الطريق السريع وجدت أكثر من خمسة عشر جرارا زراعيا تصطف على جانبى الطريق وعليها السائقون وعندما اقتربنا منهم تحركوا خلف البلدوزر وانحرفنا ناحية قرية بنى شاسيه .

★★★

عندما وصلنا الى قرية بنى شاسيه وجدنا لوارى الامن المركزى عند مدخل القرية تملأ كل الساحة الفسيحة .

وعلى الفور بدأ العمل ..!

نزل الجنود الى الشوارع . وكلما قابلوا رجلا أوسعوه ضربا وركلا . وقام ضباط المباحث والمخبرون ومعهم بعض ضباط الأمن المركزى بتفتيش بيوت القرية بيتا بيتا ..

وأثناء التفتيش كان الجنود يقذفون بمحتويات البيوت خارجها ، وتقلب الامتعة رأسا على عقب . وتراق محتويات الأوانى على الارض . وقد رأيت أحد الجنود وقد رأى جرة مملوءة بالعسل الاسود فركلها بقدمه بعنف فتطاير من داخلها العسل على ملابسه وملابس أحد الضباط الذى بالقرب . فلم يتمالك الضابط نفسه وانهال على الجندى ضربا ..!

وكنت أتوقع أن يأمره الضابط باستخدام اللين ، ولكنه ضربه دون ان ينصحه باستعمال العقل ..!

وصدرت التعليمات باقتياد كل شباب القرية الذين تزيد اعمارهم على خمسة عشر عاما حتى سن الخامسة والاربعين وان يقتاد الجميع الى مقر النقطة .

وقال نائب المدير :

- غربلوا البلد كلها .

وسألنى :

- تعرف بيت ابو قلوحه ؟

وبالطبع أنا لا أعرف !

ووجدنا أحد الخفراء من ابناء القرية واسمه رجب يقودنا الى المنزل .. وكان قريبا من مكان وجودنا ..

وكنت اثناء ركوبى المدرعة وعندما تم ابلاغنا بواقعة الاعتداء على أفراد النقطة سمعت احدى النسوة وهى تصرخ وتقول :

- عملها ولد أبو قلوحه .

كان المنزل يتألف من طابقين ، وهو مشيد حديثا . له أعمدة خرسانية مسلحة والاسقف من الخرسانة المسلحة أيضا . ويحتوى على ثمانية غرف فى الدور الارضى وفناء كبير فيه عدد من الدكك الخشبية للجلوس عليها فى بهو المنزل الواسع .

وفى لحظات اقتحم الجنود والضباط المنزل . وتم احضار ابو قلوحه ..!

كان مربوطا من رقبته بشال من الصوف كان الرجل يضعه على كتفه . وكان أحد المخبرين يسحبه . والرجل مستسلم ويسير خلف المخبر دون مقاومة . فى العقد السادس من عمره يبدو عليه الهدوء والوقار . لونه أسمر وله لحية أهملها

عدة أيام فاكتست باللون الابيض . وكانت فى وجهه كدمات كثيرة، ورأيت الدم يسيل من فمه . كان من الواضح أنهم أوجعوه ضربا !

وتم اقتياده الى مقر النقطة .!

وبمجرد دخوله قام أحد ضباط المباحث بربط رأسه وعينيه بقطعة من القماش السميك ، ثم أحكم الرباط ..

وقاده أحد الضباط الى حيث نجلس فى مكتب اللواء ..!

وأثناء عملية الاقتياد لم يكف المخبرون والجنود عن ضربه وركله .

وبمجرد مثوله أمام حضرة اللواء قام أحد الضباط بصفعه عدة مرات على وجهه ورأسه ورأيت الضابط وهو يمسح يده من آثار الدم بمنديل من الورق انتزعه من علبة كبيرة على مكتب اللواء .

وقال الضابط بعد صفعه :

– علشان تتكلم مع الباشا كويس .

وتم ايقافه بحيث يكون بعيدا عن مكتب الباشا بحوالى متر .

وسأله الباشا بصوت منخفض :

– اسمك ايه ؟

وبمجرد ان تكلم اللواء رأيت الرجل يرفع يديه فى الفراغ فى محاولة تلقائية لاتقاء ضربات محتملة . وكان الرباط على عينيه ضاغطا وهو الأمر الذى جعله يرفع يديه مرة أخرى بطريقة تلقائية يحاول فك الرباط ..

وقد تنبه لذلك أحد الضباط الجالسين وكان يرتدى الملابس المدنية فأمر أحد المخبرين ان يربط يديه من الخلف .

وسكت الرجل عن الإجابة حتى فرغ المخبر من تقييده ، وبالطبع لم يتكلم وهو الأمر الذى دعا اللواء الى إعادة سؤاله :

– انت اسمك ايه ؟

وأجاب الرجل :

– محمد محمود محمد على أبو قلوحه .

ونطق الرجل اسمه بهدوء كأنه يقرأ .

وسأله اللواء :

– يعنى إيه أبو قلوحه ؟

وكانت ساقا الرجل منفرجتين . ولم يعرف بماذا يجيب . فقد فاجأه السؤال . فسكت ولم يرد .

واقترب منه الضابط الذى صفعه من قبل وانهال على وجهه صفعا وقال :

– رد على الباشا ..

وكان الضابط يضربه بشغف ..!

وكانت صفعته مدوية وأحدثت صوتا . وهو ما شجعه على إعادة صفعه مرة ثانية لإحداث نفس الصوت . ولكن صفعاته التالية كانت تصطدم بالرباط الذى على عينيه. وختم الضابط الصفعات بصفعة هائلة على أذن الرجل . وكانت قاسية إلى الحد الذى طوحته أرضا وسقط . وحاول أن يعتدل غير أن يديه المقيدتين منعتاه .

وأمر اللواء أحد المخبرين برفعه .

وبعد أن أوقفوه كان جسده يرتعش . ورأيت قطرات من المياه تتساقط من بين ساقيه المنفرجتين . وكان الرجل يرتعش بطريقة واضحة .

وسأله اللواء :

– ابنك فين ؟

وقال الرجل بصوت واهن :

– العلم عند الله يا أفندى.

وتدخل الضابط الذى صفعه وحاول ، ولكن اللواء نهاه عن ذلك فقال :

– بلاش ضرب . وهو هيتكلم لوحده .

ويبدو أن الرجل لم يستمع جيدا . ومد عنقه للأمام وقال :

– هـه ..؟

وأعاد الضابط السؤال بصوت أعلى وقال :

– ابنك فين يا أبو (... ...).

ونطق كلمة تطلق على المؤخرة .

وابتسم اللواء قليلا ... !

وتدخل ضابط آخر وحاول أن يزجر زميله قائلا :

– يظهر أن قلبك رهيف .

وقام الضابط برفع جلباب الرجل المبتل حتى بطنه وقام بربطه فى رقبته . ووقف الرجل أمامنا عاريا تماما من الأمام والخلف . وكانت ذكورته منكمشة تماما وخصيتاه تتدليان كبيرتين من كيس رقيق بشكل ملحوظ . وقام أحد المخبرين بضربه على مؤخرته ضربات عنيفة بعصا رفيعة من الخيزران . وقال له :

– رد على البهوات .

وقال الضابط الذى ضربه مؤخرا :

– تكلم يا أبو (... ...)

ونطق نفس الكلمة التى تطلق على مؤخرة الإنسان.

وقال الرجل :

– أنا حجيت بيت الله ولا أكذب.

وقال الضابط :

– (... ....) قذر .

ونطق كلمة تطلق على العضو التناسلى للأم .!

وقال الزميل الذى قام بتعريته وهو يضحك موجها اللوم لزميله :

– عيب تسب النعمة .. حرام عليك .

وقال الضابط :

– فين ابنك . تكلم أحسن لك .

قال الرجل :

– من يوم ما عمل دقن ما أعرفش عنه حاجة .

وقال الضابط :

– يا ضلالى . قول هوا فين ؟

وقال الرجل :

– وشرفك انت ما أعرف .

وكان الرجل يرفع وجهه لأعلى .

وقال الضابط الذى يستجوبه :

– احنا هنجيب بنتك ونوقفها كده زيك بالضبط وهى تتكلم ..

ورأيت اهتزاز الرجل وارتعاشه يتزايدان وسقط على الأرض ..!

وأخرجوه من الغرفة .

ونهض اللواء واقفا وقال :

– البلدوزر جاهز ؟

وقال أحد الضباط :

– والجرارات كمان جاهزة.

وخرج وخرجنا خلفه .

★★★

عدنا مرة ثانية إلى حيث يوجد منزل محمد محمود على أبو قلوحه . وتوقفت المدرعة وخلفها البلدوزر والعربات الأخرى والجرارات الزراعية فى الميدان أمام البيت .

نزل اللواء ونزلنا خلفه .. وخلفنا حشد من الضباط من مختلف الرتب وعدد كبير من المخبرين والجنود من الأمن المركزى بملابسهم السوداء وفى أيديهم الأسلحة الآلية وبعضهم يحمل عصيا رفيعة من الخيزران وقام الجميع باقتحام البيت مرة ثانية ..!

وبعد فترة وجيزة سمعنا صراخ نسوة . وبعدها رأيت ثلاثة من المجندين يسحبون امرأة فى العقد الثالث من العمر وفى يدها طفلان يصرخان وعلى كتفها طفل رضيع يصرخ أيضا وفى يده الأخرى صرة ملابس . وكانت تصرخ وتقول :

– أروح فين بيهم . أبوهم طفش وسيدهم أخدتوه .

ورأيت خلفها امرأة يسحبها جندى فى العقد الخامس كانت تصرخ أيضا وتقول :

– احنا نتبنا إيه ؟

وكانت المرأة تمسك صرة من الملابس أيضا .

وسألها واحد من الضباط :

– فيه حد تانى فى البيت ؟

وقالت المرأة المسنة :

– منكم لله – يا كفره – يا خرابين البيوت .

وبعد أن خرجت المرأتان دخل عدد من الضباط وبعض المخبرين . وبعد فترة عادوا – ومعهم الذين سبقوهم وقال واحد منهم :

– خلاص يا باشا .

وأشار الباشا إلى البلدوزر الذى كان محركه لايزال يعمل وزمجر فى أول الأمر وتحرك ناحية المنزل تسبقه المغرفة الحديدية الهائلة مرفوعة قليلا عن الأرض وبدأ فى التحرك ببطء.

وشعرت فى تلك اللحظة بشىء ينقبض داخلى وخيل إلىّ أننى لن أتمكن من ادخال الهواء إلى رئتى .

وأحسست بنبضات قلبى تتسارع واستندت إلى المدرعة .

كان اللواء يضع نظارة سوداء على عينيه .

واقترب البلدوزر من البيت وتوقف عن السير بمجرد اصطدام المغرفة بالبيت وكان محركه يعمل بعنف . وفجأة سمعنا طقطقة وتراجع البلدوزر للخلف ورأيت السقف الخرسانى للمنزل ينهار متماسكا وينطبق على أسقف الدور الأول وهبطت الأسطح الأسمنتية على الأرض كالورق المقوى . وانبعث غبار كثيف أسود وقاتم ، غطى كل الميدان ، وكنت قد وصلت إلى قمة التعب، ولم أتحمل كثافة الغبار فأخرجت منديلى ووضعته على أنفى وجعلت وجهى ملتصقا بالمدرعة .

وسمعت صيحات عالية للنسوة الواقفات بعيدا عن المنزل يرقبن المشهد ، وارتفع صراخهن كما لو وصلهن للتو نبأ فقد عزيز وغال لديهن .

وقال بعض الفلاحين الذين يرقبون الواقعة :

- يا حفيظ يارب .

وكانت تلك الكلمة فى غاية البلاغة .. ولم يكن الموقف يحتمل أكثر من ذلك .

تم التحميل من مكتبتى

٢٢ سبتمبر

جاء العمدة همام ..

صافحنى بحرارة ، وشد على يدى بعنف . كان يضع الشال الصوفى المبرقش على كتفه ويرتدى جلبابه الصوفى الواسع وكان يلهث .

وعنـــدما جلس لاحظت أن بطنه يعلو ويهبط ، ولسانه يسد فمه المفتوح .

وبعد أن استراح قال :

– والله يا باشا انت نورت البلد.

وكنت قد وصلت إلى مرحلة من الضيق قادتنى إلى أعتاب الاكتئاب. وأصبحت أرى كل الأشياء تتآمر ضدى . وخيل إلىّ أن هذا الرجل يخرج لى لسانه بعد أن يخرج من هنا . وكنت قد نسيت موضوع ابن شقيقة سدراك مدير التليفونات وقصة اختطافه وكنت أعرف أن همام ضالع فى الجناية ، وكنت أتمنى أن يتقدم ببلاغ ليمكننى من اتخاذ كل الاجراءات القانونية ضده ، غير أنه رفض . وكان رفضه غير مقنع .

كانت عينا همام تلمعان ببريق غريب ، فرحة صياد تأكد من وجود صيد سمين فى شبكته ولا ينتظر سوى جذبها فقط .

وخيل إلىّ أن سمنته ازدادت عن ذى قبل . وراودنى احساس – لا أستطيع الافصاح عنه – تجاه هذا الرجل . وتمنيت فى تلك اللحظة لو أن تمكنت من افراغ خزينة البندقية الآلية التى بجوارى فى كرشه ..!

وكل لحظة كنت أزداد كراهية له ..!

وعندما نظرت فى وجهه الضخم بدأت أرى الأشياء بصورة تختلف –

فقد تبين لى أن كل ما سمعته انما هى أقاويل قد لا تستند إلى دليل قطعى واحد .

وشيئا فشيئا بدأت صورته التى كنت أراها مشوشة ومهتزة تتضح وتزداد وضوحا وصوته ازداد رصانة وهو يقول :

– يا بخت بلدنا يا هناها .

ونظرت إليه وقد بدأ يتكلم بطلاقة ، واستطرد كأنه يؤدى دورا فى مسرحية حفظ نصوصها جيدا قائلا :

– تعرف يا باشا إن الخير فى بلدنا زاد من يوم بقرة سلمان أبو حنين ما ولدت جوز .

وسكت فجأة .

وابتلع شيئا كان يملأ فمه وقال :

– والحمار إللى اسمه حسين أبو عبد الجبار . صحيح حمار . بيته فيه لقية ، وعياله راحوا جابوا واحد مغربى يفتح كتب اللقايا .

والمغربى يا باشا عرف الرصد ، ونظر فى وجهى وعينى كما لو كان يريد أن يعرف ويتأكد من تأثير وقع كلامه علىّ .. وأكمل :

– لكن يا باشا بشاير اللقية ظهرت .

سألته :

– بشاير ؟

قال بتأكيد :

– أيوه يا باشا بشاير ..!

ووضع يده فى جيبه وأخرج لفافة من ورق الجرائد وكان يقبض عليها بكفه ووضعها على المكتب أمامى وقال :

– ودى بشارة ..!

فضضت الورقة فوجدت فيها تمثالا لحشرة تشبه الخنفساء أو الجعران من المرمر الأسود والأجنحة ملونة أزرق فاتح يشبه اللازورد . والعينان والوجه من المزرد الأخضر .

والتمثال فى حجم كف يد همام . بديع التكوين . ينم عن دقة عالية من الفن . وكانت بداخل ثناياه بقايا رمال عالقة بالتمثال . وعندما مسحته فى الجوخ على المكتب ازداد تألقا وظهرت ألوانه أكثر وضوحا .

ومع أننى فى طفولتى كنت أكره تلك الحشرة الدنيئة .. إلا أننى وجدت نفسى أنظر إلى تمثالها بنوع من التوقير والاحترام.

كان التمثال صورة مجسمة لتلك الحشرة وبحجم أكبر.

وأخرج من جيبه قطعة أخرى فإذا هى عبارة عن تمثال أكبر حجما من نفس المعادن والألوان لطائر يشبه الخفاش له أجنحة كبيرة وبنفس الدقة.

وكنت أعرف أن هذا النوع من التماثيل نادر الوجود وأنه لا يقدر بمال .

وظهر ذلك من الطريقة التى كان ينظر بها همام إلى التمثالين .

فسألته وأنا أحاول إظهار جهلى :

– يساوى كام يا عمدة ؟

وفتح همام فمه . وتراجع عن الكلام .

وعندما أعدت عليه السؤال قال :

– دا تحطه على مكتب حضرتك . يجلب البركة . أصل الفراعنة والأروام كانوا يعبدوه لكن حضرتك اوعى تغفل عنه .

وسكت لحظة ليستجمع الهواء لرئتيه وقال :

– يساوى عشرين ألف جنيه . بالمصرى يا باشا .

وكنت أعرف أن الحيوان يساوى أكثر من هذا .

ورأيته يفتح فمه ويقول :

– يا باشا . دا حيوان من الأسرة الرابعة . أصل تحف الأسرة الرابعة نادرة . مش موجودة ، الخواجا بيرى حاول .

وسكت فجأة عن الاستطراد ، وشعر أنه تورط ، وبدأ يضحك ضحكا مصطنعا. ونظرت اليه نظرة قاسية لم يتحمل مواجهتها ، ونظر بعيدا إلى صورة معلقة على الحائط ، وتغلب على تورطه وقال :

– يا باشا الجماعة المغاربة معاهم كتب يحفروا بيها ويعرفوا منها الحفاير واللقايا .. وملأ رئتيه وصدره بهواء جديد وقال :

– واللقية يا باشا ميقدروش يفتحوها إلا بالرصد ، والرصد ده ممكن يكون بقرة من غير قرون أو عقرب خنثى ولا سحلية لها عين واحدة وفى بعض الأحيان تكون على صورة كلب لونه أزرق .. والمغربى هو اللى يعرف الرصد . وبعد ما يعرفوه يموتوه من غير دمه ما ينزل على الأرض ، وبعدين المغربى يقرأ عند الباب الحديدى الموجود عند غرفة اللقية ، وبعد القراية الباب ينفتح ويلاقوا الكفار ملفوفين فى أكفان الخيش ومعلقين – الجعارين فى رقابهم .

قلت له :

– مكفنين فى الخيش ؟

وقال وهو يضحك لجهلى :

– أصل دول كانوا كفرة .. وبعدين النسوان اللى متخلفشى تروح تخطى الكافر من دول تقوم تحبل على طول ..

ثم وضع يده على فمه وضحك بصوت جهورى .. وكان ضحكه يشبه سقوط ماء فى صفيحة فارغة ، وكان مزعجا .. وقال :

– يا باشا كل شئ فى الكافر وافر ..

ولم أفهم معنى هذا ..

وكان لا يزال يضحك . وبعد أن قارب ضحكه على الانتهاء قال :

– وكل الخير ده يا باشا بعد سيادتك ما شرفت ، والبقرة ولدت جوز فى بيت سلمان أبو حنين ..

ولم أعرف لماذا يربط حضورى لهذا المركز والخير الذى بدأ يعم والبقرة التى ولدت جوز ، ولكنه مع ذلك استطرد :

– وشرفك يا باشا من ساعة حضرتك ما شرفت بلدنا .

ووجدت نفسى أضع الجعران وتمثال الطائر فى درج مكتبى وقلت لهمام :

– هدية مقبولة ..

ونظر نحوى وكان لا يتوقع أننى سأستولى على الجعران والطائر ، وأنه كان فى نيته أن يعطينى الجعران فقط ، وبدا عليه كما لو كان خائفا ، ونهض واقفا ومد يده السمينة بعد أن ألقى الشال على كتفه العريض وقال :

– وأحسن من كده لا يغلى عليك .

وخرج صامتا وهو ينظر نحو الباب .

★★★

جاء عقيد من المديرية ، وهو يأتى إلى المركز من آن لآخر ، وهو لا يؤدى عملا ثابتا ولكن يتعين عليه الحضور فى أيام معينة . ويجلس معى يراقب أعمال المركز ويضع تقريرا عما رآه ويقوم بالتفتيش على الأوراق والدفاتر وينصرف .

وفى بعض الأحيان تكلفه المديرية بتحقيق وفحص موضوعات معينة ووقائع تتعلق بتأدية العمل ..

وكان هذا الضابط من الشرقية .. ويدعى أن أهل الصعيد هم أبناء عمومة أهل الشرقية ، وكان كثير الكلام وإلقاء النكات الجنسية الفاضحة ويتمتع بخفة دم عالية .. وحمدت الله أنه لم يدخل أثناء وجود العمدة همام ..

وبعد أن طلبت له الشاى قال :

– سمعت آخر نكتة ..

قلت :

– لا ..

قال :

– مصرى عاد من الكويت أثناء الغزو العراقى ومعه طفل كويتى رضيع فسألوه فى الجمرك عن سبب احضاره فقال «لما يكبر اشتغل عنده» .

– ها . ها . ها ..

وسكت لحظة وقال :

– على فكرة العمدة همام رجل ظريف !

قلت له :

– تعرفه ؟

قال :

– قابلته وهو خارج من عندك .

ورشف من كوب رشفة على طريقة أهل الصعيد فأحدث صوتا وقال :

– على فكـرة أنا شـفته فى المديريـة أكثر من مرة .. اصله عضـو فى لجنة العمد .

قلت مستغربا :

– عضو فى لجنة العمد ؟!

قال الضابط مستنكرا :

– أنت متعرفشى ؟

وفى الواقع لم أكن فى حالة تسمح لى بالتركيز الشديد فيما أقوله ..

والواقع أنه عضو فى لجنة العمد ، وأحيانا تأتى له اخطارات بحضور الاجتماعات فى صورة اشارات من المديرية ، وتعرض هذه الاشارات على وأقوم بالتأشير عليها لإعلان .

وقال العقيد :

– دايما يدخل ويقعد عند المدير .

ووجدت نفسى أقول :

– المعفن ده .

قال العقيد عبدالمجيد مؤمنا على كلامى .

– آه ..

★★★

رن التليفون ، وكان المتحدث هو مدير الأمن وقال :

– يا سامى أنا عايزك .

قلت على الفور :

– حاضر يا معالى الباشا .

وقال المدير :

– وهات معاك شنطتك .

وقلت :

– خير إن شاء الله .

قال :

– العقيد عبدالمجيد تم تعيينه مأمورا للمركز بدلا منك .

وكان عبدالمجيد ينظر نحوى بإشفاق .

وضعت السماعة ، وفتحت ادراج مكتبى وأغلقتها ، ونهض عبدالمجيد واقفا وقال :

– عن إذنك .

وخرج !

أخرجت محتويات مكتبى الخاصة واللفافات التى أعطانى اياها همام وأمسكت الجعران وتمثال الطائر ، وقارنت بينهما ، وقمت بلف الجعران بورقة ووضعت تمثال الطائر على المكتب ، وضغطت على الجرس وطلبت من عبدالفتاح أن يستدعى العقيد عبدالمجيد الذى كان على ما يبدو قد شعر بحرج شديد أن يرانى فى هذا الوضع ، وبالفعل حضر العقيد عبدالمجيد ، وأمسكت الطائر وناولته له وقلت :

– هدية العمدة همام للمكتب .

وقام عبدالمجيد بفحص التمثال وقال :

– أنا عملت فى شرطة السياحة والآثار ، وده نسخة أصلية وهو لا يقدر بثمن ، لكن دى جريمة .. !

وسكت ولم أرد وقال :

– خليه معاك .

ووجدت نفسى أخرج الجعران من لفافته وقلت :

– طيب وده .

قال عبدالمجيد :

– دا كنز أثرى .

وهمس فى أذنى وقال :

– خلاص مبروك عليك .

قلت وأنا أضحك :

– العمدة همام قال إن دى بركة الفراعنة ، خليهم على مكتبك وتركتهم وخرجت.

★★★